الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذ الدكتور: فتحي بوخالفة

محاضرات مقياس الأدب الشعبي المغاربي

[Sous-titre du document]

هذه محاضرات مقياس الأدب الشعبي المغاربي، بمختلف محاورها، وفق مقرر وزارة التعليم والعالي والبحث العلمي. وهي موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس، شعبة الدراسات الأدبية.

MAISON XP
[Choisir la date]

*أهداف المقرر:

1- يمثل الأدب الشعبي المغاربي خصوصية هامة، من خصوصيات الآداب الشعبية العالمية، كونه يمتاز بطابع محلي يعكس أهم السمات الجوهرية لسكان المغرب العربي. من هذا المنطلق وجب تحديد محاور أساسية ومنهجية لدراسته، تبعا لمقتضيات آفاقه المعرفية والحضارية التي يتوفر عليها.

2-يمتاز الأدب الشعبي المغاربي بتنوع الأجناس الأدبية الإبداعية، من حكاية، وشعر، وأسطورة وخرافة، ومثل، وحكمة، ولغز ، وأغنية،... وغيرها من سائر الأجناس الإبداعية الأدبية الأخرى، مما يستدعي وجود منظور منهجي علمي، يتصدر لمثل هذه الأنواع بالدراسة والبحث.

3-الاقتراب أكثر من التحولات والتطورات التاريخية، التي عرفها الأدب الشعبي المغاربي عبر مختلف مراحل تطوره وتحوله.

5-تحديد منظورات منهجية مقارباتية تطبيقية لدراسة الأجناس الأدبية الشعبية المغاربية، وفق طبيعة وأنماط السمات الفنية لهذه الآداب.

6-التعرف على المكونات الحضارية والتاريخية والثقافية والفنية، للآداب الشعبية المغاربية من خلال ما شملته هذه الأخيرة، من طبيعة التكوين والمنشأ.

7-التوصل إلى نتائج موضوعية علمية، تخص طبيعة الخصائص الفنية والجمالية للأدب الشعبي المغاربي، تبعا لما يشمله هذا الأخير من هذه الخصائص.

*المكتسبات القبلية:

1-جعل الطلبة في الاختصاص يقتربون أكثر من فهم طبيعة تكوين، مختلف أشكال الأدب الشعبي المغاربي.

2-وضع الطالب في الحيثيات الحضارية والتاريخية والفنية والأدبية، للنصوص الأدبية الشعبية المغاربية.

3-التمكن من فهم طبيعة المحتوى الحضاري والفني والأدبي، للنصوص الأدبية الشعبية المغاربية.

4-فهم طبيعة وأنماط التحولات التاريخية والفنية والأدبية، للأدب الشعبي المغاربي الحديث وفق مقتضيات خصائصه المحلية.

5-فهم طبيعة النمط اللهجي اللغوي المختلف، بين مجموع الأقطار المغاربية والتي أسهمت بوضوح في تطوير وتنمية الإبداع الشعبي الأدبي المغاربي.

6-فهم طبيعة الأنماط المحلية للأجناس الأدبية الشعبية المغاربية.

*مفردات المقرر:

1-المحاضرة الأولى: الأدب الشعبي –المصطلح والمفهوم-

2-المحاضرة الثانية: الأدب الشعبي المغاربي وعلاقته بالفلكلور

3-المحاضرة الثالثة: أصناف الأدب الشعبي المغاربي

4-المحاضرة الرابعة: أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغاربي

*الفئات المستهدفة:

هذه المحاضرات موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس، شعبة الدراسات الأدبية.

*الفرش التمهيدي:

يمثل الأدب الشعبي المغاربي، ظاهرة جمالية مميزة، كونه يعد جزءا أساسيا من الأدب الشعبي العالمي، من حيث قدرته على استيعاب مختلف الأشكال التعبيرية، من حكاية ، وشعر، وأسطورة، وخرافة، ومثل ، وحكمة، وأغنية،... وغيرها من الأشكال التعبيرية الأخرى، التي اقتربت أكثر من طبيعة الذات الشعبية المغاربية.

ونظرا لما يزخر به هذا الأدب من خصوصية محلية، ذات قيمة حضارية وتاريخية مميزة، كان لزاما على البحث العلمي تخصيص مناهج دراسية وجملة من الاهتمامات بطبيعة هذا الأدب، وفق ما تقتضيه الحاجة المعرفية لفهم طبيعة هذه الظاهرة، تبعا لمميزاتها الجمالية رغم تلقائيتها في التعبير والتواصل مع مختلف الفئات الشعبية، ضمن مجتمعات مغاربية متعددة.

وبغرض الاقتراب أكثر، من طبيعة الأدب الشعبي المغاربي، وتحديد أهم الخصائص الفنية المتعلقة به، وفق أنماط وأشكال التعبير المتوفر عليها، تم تقسيم المقرر الدراسي لجملة محاور أساسية، تراوحت بين

مقدمات نظرية وتحديد لمصطلحات أساسية اقتضتها الضرورة المنهجية. ثم تحديد التعريفات الأساسية للأدب الشعبي المغاربي، ثم التركيز على أهم أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغاربي، مع تحديد خصائصها الجمالية.

كما تم اعتماد مراجع متخصصة، لتحرير المادة العلمية للمقرر، أهمها:

- عبد الحميد بورايو:معجم الفلكلور

-إيكه هولكتراس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور

- سعيدي محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق

-بولرباح عثماني: دراسات نقدية في الأدب الشعبي

-صالح جديد: الأدب الشعبي المغاربي والدراسات النقدية

-محمود مفلح بكر: البحث الميداني في التراث الشعبي

-إبراهيم عبد الحافظ: دراسات في الأدب الشعبي

المحاضرة الأولى

الأدب الشعبي–المصطلح والمفهوم–

أ–مفهوم الأدب الشعبي:

يدل مصطلح الأدب الشعبي على التعبير الفني، المعتمد على الكلمة، وما يصاحبها من إشارة أو حركة، أو إيقاع، استجابة للوجدان الجماعي الشعبي ضمن بيئة جغرافية معينة، أو فترة زمنية تاريخية من فترات التاريخ الإنساني.

وقد اختلفت دلالات المصطلح بحسب اختلاف المدارس والتوجهات الفلكلورية والأدبية؛ ففي الدول اللاتينية مثلا ، يقصد به كل ماله علاقة بالفلكلور، أو أنه مصطلح يرادف الفلكلور. ثم تم تحديد مجال الأدب الشعبي، بعدما أصبح الفلكلور علما قائما بذاته، له مناهجه وخصائصه الموضوعية، والدوائر البحثية الخاصة به. «والأدب الشعبي هو جزء كبير وواسع، يضم سائر المأثورات الشعبية، وهو ليس بالضرورة الأدب العامي»[1].

الأدب الشعبي هو نوع من أنواع الخلق الأدبي الشعبي، وهو جزء هام من التراث الشعبي الإنساني، «يتضمن أجناسا وأشكالا تعبيرية معروفة، يتوسل بها للتعبير عن مختلف التجارب الإنسانية، كالحكايات الشعبية، والأغاني الشعبية، وأهازيج الطقوس الدينية، والألغاز، والأمثال،...»[2].

ولفظة شعبي، هي كل ما يتعلق بالشعب، واتصفت ممارساته بالشعبية؛ أي كل شئ من إنتاج الشعب فهو شعبي. وقد أسس المهتمون بالأدب الشعبي رؤاهم الخاصة، في تحديد مفاهيم هذا الأدب، وكذا تحديد دلالاته الاصطلاحية، فصارت لكل واحد منهم رؤيته الخاصة في ذلك، ومنهجه الخاص وتعريفه الخاص، ويعود ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسة هي:

–طبيعة المادة الشعبية، التي هي في جوهرها مادة حركية دائمة، وما تحويه من رموز ومنظومات فكرية وثقافية متنوعة، سواء كانت ناطقة أم غامضة، حيث لا يمكن الوصول إلى معرفة أسرارها، وفهم دلالات رموزها بسهولة ويسر.

---

[1] عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق –سوريا، الطبعة الأولى 2002، ص:41

[2] إيكه هولكتراس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة: محمد الجوهري، و حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة –مصر، 1972، ص:33/32

-الرؤية المنهجية الخاصة بكل باحث متخصص في الأدب الشعبي؛ هذا يعني تمتع كل باحث مختص برؤيته العلمية والموضوعية والمنهجية، وحتى الثقافية والإيديولوجية والمعرفية، مما يقود إلى اختلاف المفاهيم، وآليات البحث وتقنياته والمناهج البحثية.

-الغنى الذي يميز مادة الأدب الشعبي، بتنوع مكوناتها اللغوية، وشساعة فضاءاتها الرمزية، وصعوبة مقاربة هذه المادة الحيوية[1].

ويقول حسين نصار في تعريفه للأدب الشعبي:« الأدب الشعبي هو الأدب المجهول المؤلف، عامي اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية»[2]. ويشمل هذا التعريف أربعة شروط هي جهلنا لمؤلفه، عامية لغته، مرور عدة أجيال عليه، فهو في هذه الحال، أدب متنقل عبر الأجيال، وكل جيل يثريه بحسب قدراته المعرفية، وشساعة مخيلته الإبداعية. ثم وصول هذا الأدب للجيل المعاصر مشافهة. تتفق هذه التعريفات على أن الأدب الشعبي، هو الأدب المنتج من لدن فرد معين من أبناء المجتمع، ثم انصهرت شخصية ذلك الفرد ضمن الأطر الاجتماعية التي ينتمي إليها، مصورا بذلك هموم مجتمعه، وآماله، وآلامه، في قالب فني شعبي جماعي، يتماشى مع نظرة المجتمع ومستواها الفكري والثقافي واللغوي والحضاري.

ب/ماهية الأدب الشعبي المغاربي:

يتمثل الأدب الشعبي المغاربي في« تلك النصوص الأدبية الشعبية التي أنتجتها المخيلة الشعبية المغاربية، مستقية مضامين نصوصها من مشارب تاريخية وأدبية ودينية وأسطورية، توارثها أهالي المغرب العربي عربا وبربرا؛ إنه أدب تضافرت وتداخلت فيه الطموحات والآمال مع الآلام والهموم، فأنتجت نصوصا شعبية بين النثر والشعر، غير مختلف في شكله وسرده وقضاياه عن الأدب الشعبي المحلي- الخاص بقطر واحد بعينه- والعربي»[3]؛ فالأدب الشعبي المغاربي، ليس ذلك الأدب الذي يخضع للاعتبارات الجغرافية والسياسية، لدول وبلدان المغرب العربي، «وإنما هو الأدب الذي أنتجته شعوب

[1] للاستزادة أكثر، يراجع محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر، 1998، ص:15.

[2] بولرباح عثماني: دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي -الجزائر، الطبعة الأولى، 2009، ص:18

[3] صالح جديد: الأدب الشعبي المغاربي والدراسات النقدية، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثالث، ص:02

المنطقة منذ الأزمنة السحيقة ومازال متداولا بين الأجيال المتتابعة، مع إخضاع بعض مضامينه للخصوصية الثقافية والاجتماعية والدينية لكل بلد؛ فهو إذن عريق في وجوده مستمر في عطائه»[1].

ج/نشأة الأدب الشعبي:

يتفق الباحثون والمختصون على أن نشأة الأدب الشعبي، كانت نشأة شعبية. فقبل آلاف السنين كان النظام البشري الاجتماعي المتألف من العائلة ثم العشيرة، ثم القبيلة بعد ذلك، يتواضع أبنائه على نداءات وصيحات وأهازيج اعتيادية يومية، يرددونها أثناء أدائهم لأعمالهم، كنقل الحجارة، أو قطع أغصان الأشجار ونقلها، أو بناء البيوت وتحصينها، وحفر الخنادق لإبعاد مياه الأمطار أو تخزينها في تجمعات مائية مختلفة الأحجام والسعة، أو تحصين القرى من الأعداء... وهناك أصوات وأهازيج أخرى، تردد خلال حملات الصيد وقنص الفرائس، أو تردد أثناء القتال لشحذ الهمم والعزائم، ورفع معنويات المقاتلين. ومن هذه الأصوات والأهازيج ما يردد أثناء حملات القطاف وجني الثمار والزروع، والحصاد؛ يحدث هذا الترداد بغرض تنظيم إيقاع الحركات الجسدية، أو التغلب على التعب بهدف تزجية وقت العمل، وتوحيد روح الفرد مع الروح الجماعية، لخلق التعاضد والتآزر. ومع تشكل المدن والدول، بدأت تبرز طبقات اجتماعية جديدة، وبدت للعيان ظاهرة التفاوت الطبقي والاجتماعي، فبرزت طبقة الحكام والكهنة، وظهر تمايز وضح بين عامة الناس وخاصتهم،« وتمايز أدب هؤلاء عن أولئك، رغم أنه كان يقال بلغة واحدة غالبا في دولة المدينة. وقد ازداد التمايز بظهور أسر حاكمة لها لغتها القبلية الخاصة، تمكنت من إخضاع العديد من المدن والقبائل ذات اللغات واللهجات المتنوعة»[2].

في مثل هذه الأجواء ولدت الكثير من الحكايات، والقصص، والأساطير، والخرافات، والأمثال، والألغاز، والتراتيل، والأهازيج، والنداءات، والصيحات، والأقوال السائرة، والحكم، والرقى، بهدف إبعاد الأذى عن الإنسان- بحسب بعض الاعتقادات الشعبية-. فظهر أدب شعبي يبجل الآلهة ويمجدها، وأدب شعبي آخر يمجد الملوك وسيرهم، ويروي قصص حياتهم. وأدب شعبي آخر، يروي

[1] المرجع السابق، ص:04

[2] محمود مفلح بكر: البحث الميداني في التراث الشعبي، ص:83

بطولات القادة وأمجادهم، ويشيد بمغامراتهم وبسالتهم في مواجهة الأعداء وقهرهم. وكانت المعابد ميدان هذه الحكايات، والأشعار، والملاحم، والمغازي، والأغاني، حيث أضفيت هالة من القداسة والتبجيل والتمجيد على مثل هذه الأعمال الأدبية الشعبية.

إلى جانب هذه النصوص الشعبية ذات الصفة الرسمية، كان هناك أدب شعبي آخر، يعبر عن هموم الإنسان الفقير، والمقهور. ويتحدث عن الظلم الذي أحيط به، وكذا عن طموحاته وأحلامه ومعاناته اليومية المستمرة. كما كثر أدب العبرة في صيغه الشعبية من أمثال، وحكايات، وحكم، ووصايا،... هذه الأنواع الأدبية التي تلخص مجمل التجارب الإنسانية والحياتية؛ إذ وجدت من أجل الاعتبار والاستفادة من تجارب الغير في قادم الأيام. «ونظرا لأهمية هذه الوصايا فقد كانت تشيع على ألسنة مختلف طبقات المجتمع، لتصبح شعبية ورسمية، أو شبه رسمية في آن معا»[1].

من هنا يكون الأدب الشعبي، إبداع الأجيال المتلاحقة والمتعددة من سائر الفئات الطبقية للمجتمعات البشرية. فهو بذلك ليس ملكا أو حكرا على فئة من الفئات الاجتماعية، أو طبقة من الطبقات ضمن المجتمع الواحد. كما أنه ليس ملكا لمجتمع معين، إنما ملك لسائر المجتمعات الإنسانية. لذلك فهو لصيق بالحياة الاجتماعية اليومية للإنسان، يبرز في أوقات السعادة والحزن، والغنى والفقر، والفردية والجماعية. كما يرتبط بواقع الناس، بعيدا عن العوالم المثالية. والمبدع الحقيقي للأدب الشعبي، هم جماهير وعامة الناس، من أصحاب المواهب الخلاقة، والنظم، وموازين الكلام. وهم كذلك أبناء الطبقات الكادحة من المجتمع، هذه الطبقات التي لا تذكر في الرسميات، ولكنها مبدعة غاية الإبداع في صناعة الحياة اليومية. ولما كانت الصلة وثيقة والعلاقة أكثر حميمية بين الأدب الشعبي وواقع الحياة اليومية، فقد مثل هذا الأدب الهوية الفعلية في أبهى وأجمل صورها، وفق جمالياته الفنية الخاصة به.« وفي أدبنا الشعبي المغاربي نجد صورتين وهويتين كل منهما مندمج ومنصهر في الآخر، معطيا صوتا واحدا وهوية واحدة، هي ملامح وحدة ثقافة مجتمع منطقة المغرب العربي.

[1] المرجع السابق، ص:84

والمراد بالصوتين قبل الاندماج: الصوت الأمازيغي والصوت العربي. والمراد بالهويتين قبل الانصهار والتوحد: الهوية الأمازيغية والهوية العربية، ليكون ناتجهما صوت وهوية المغرب العربي»[1].

د/ميزات الأدب الشعبي:

تعد ميزة الشعبية أهم ميزة تتميز بها الآداب الشعبية العالمية بصفة عامة. وتترابط هذه الميزة مع خصائص فنية أخرى، يتصف بها الأدب الشعبي دائما. وأهم هذه الميزات هي:

-مجهولية المؤلف، إذ لا يعبأ مبدع الأدب الشعبي باللذة الإعلامية، أو ما يسمى بالذيوع الإعلامي.

-التناقل الشفاهي للآثار والمأثورات الشعبية.

-الانتشار والتداول في الأوساط الشعبية المختلفة.

-المحتوى الثقافي المحلي، المعبر عن طبيعة وجدان المجتمع.

-التوسل باللغة العامية، كآلية للتعبير في مختلف الأجناس والأشكال الأدبية الشعبية .

-القوة الروحية الجماعية.

كما يمكن تحديد ميزات أخرى للأدب الشعبي العام، من منظور باحثين آخرين كالآتي:

-عراقة الأدب الشعبي.

-الأبعاد الواقعية لمضامينه.

-الروح الجماعية.

-تداخله الدائم، مع خصوصيات الحياة الاجتماعية الشعبية للأفراد والجماعات.

لذلك يعد الأدب الشعبي الوعاء الفني الصادق، والمعبر عن أصالة الشعوب وهويتها. فهو يرتبط بالواقع الاجتماعي للناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم، كما أنه جماعي الإبداع. وتمتاز الذاكرة الشعبية بالشمولية، والإلمام الكلي والشامل بمختلف الظواهر. وكذلك التحاور المطلق مع سائر الألوان والطبوع المعرفية والثقافية. ولعل هذا ما يفسر تميز الأدب الشعبي العام وكذا المغاربي منه بالشمولية المعرفية.

[1] صالح جديد: الأدب الشعبي المغاربي والدراسات النقدية، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثالث، ص:03

المحاضرة الثانية

الأدب الشعبي المغاربي وعلاقته بالفلكلور

أ/معنى الفلكلور:

الفلكلور Folklore مصطلح أجنبي، مشتق من أصلين لاتينيين هما: Folke وتعني الناس، Lore وتعني الحكمة أو المعرفة[1]. وقد كانت أولى المحاولات لتحديد المصطلح مع الباحث "وليام جون تومز"، الذي قدم إسهامات هامة في صياغة مصطلح "فلكلور" سنة 1846م، كما أشار إلى ذلك "يوري سوكولوف"، الذي ذكر أن الترجمة الحرفية للمصطلح كما وضعه "تومز" باللغة الإنجليزية تعني« حكمة الشعب أو المعرفة الشعبية»[2]، وهذا بغرض الوصول لمعرفة ماضي وحاضر المجتمعات البشرية، وكيفية مواجهتها للظروف التي تعترضها، سواء أكانت هذه المجتمعات بدائية أم متحضرة، خلال فترة تاريخية معينة.

ب/تصنيف الفلكلور وعلاقته بالأدب الشعبي المغاربي:

يقول "محمود ذهني" في تصنيفه لمواد الفلكلور:« وعلى الرغم من أن علماء الفلكلور اختلفوا حول وضع تعريف دقيق له ، لكنهم اتفقوا اعتباريا على أنه التراث الثقافي غير العلمي للشعوب»[3].ومعنى هذا أن الثقافة غير العلمية التي هي ميدان الدراسات الفلكلورية، تحوي مجالات أساسية هي:

1-العادات والتقاليد الاجتماعية، وأسس وأنماط المعاملات.

2- المعارف والأفكار وكل ما يتعلق بالمنقولات العقلية والفكرية.

3-المعتقدات الدينية، وكل ما يتعلق بالشعائر والطقوس، ذات الصلة بالدين.

4-الفنون والصناعات العملية مثل الطب والصناعات اليدوية،... وغيرها مما ينفع أبناء المجتمع في حياتهم اليومية.

5-الفنون الجميلة وهي على نوعين:

---

[1] يراجع في ذلك محمود ذهني: الأدب الشعبي، مطبوعات جامعة القاهرة، -مصر، ،1972، ص:19

[2] المرجع نفسه، ص:52

[3] المرجع نفسه، ص:28/27

-الفنون البصرية مثل الرقص والرسم والعمارة.

-الفنون السمعية كالغناء والحكايات والشعر، والأمثال والمأثورات السائرة.

6-مختلف أنواع السلوكات اليومية، والممارسات الخارجية.

7-الأنظمة الاجتماعية، كأنظمة التعليم والقضاء والخدمات المتنوعة، ونحوها.

8-المساكن وفنون العمارة وتصميم الأبنية، والأدوات التي يمكن استخدامها.

9-مصادر الدخل المتنوعة، ووسائل وطرق استغلالها وصرفها.

10-طرق الترويح وتزجية الأوقات، كممارسة الرياضات المختلفة مثلا.

ولا يختلف مطلقا الأدب الشعبي المغاربي في علاقته بالفلكلور، في التميز بمثل هذه الميزات، واستيعاب بعض الخصائص الجمالية، التي تخص الأدب الشعبي العام ككل وكذا الفلكلور.

وقد قدم "محمد الجوهري" تصنيفا أكثر دقة، يتعلق بمختلف الاتجاهات العالمية التي اهتمت بالفلكلور، مقدما بذلك مواد الفلكلور الأكثر شمولية، يقول:« ونحاول أن نقدم تصنيفا للتعريفات المختلفة، وسوف نلاحظ أن كل تعريف منها قد ارتبط بتراث علمي في دولة أو عدة دول معينة، وأن بعضها ارتبط بفترة أو فترات زمنية معينة؛ وهي على أية حال تتدرج من الضيق إلى الاتساع، ومن الجزئية إلى الكلية وشمول النظرة»[1].

ومن هذا التعريف يمكن استنتاج مواصفات للفلكلور في علاقاته بالأدب الشعبي المغاربي أو العكس:

1-الفلكلور هو تراث شفاهي، ويرادف مصطلح الأدب الشعبي، أو على الأقل التراث المتداول بطريقة المشافهة. والأدب الشعبي المغاربي في علاقته بالفلكلور، لا يشذ عن هذه القاعدة.

2- يضم الفلكلور تراث الفلاحين، وكل ما يتعلق بالطبقات الدنيا من المجتمع.

3-يدرس الفلكلور العام كما يدرس الفلكلور المغاربي، كل ما يتعلق بالتراث الشعبي المغاربي، في المجتمعات المغاربية عبر تطوراتها التاريخية.

[1] محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، دار المعارف ،القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2006، ص:23

4-من الناحية المنهجية، علم الفلكلور هو دراسة التراث الشعبي العام، دراسة شاملة مقارنة. وتؤكد الدراسات الشعبية المغاربية هذه الخصوصية، من حيث اهتمام الفلكلور بكل ما يتعلق بالخصوصيات المحلية للثقافة الشعبية المغاربية.

يهتم علم الفلكلور في علاقته بالأدب الشعبي المغاربي، بدراسة الثقافة الشعبية التقليدية المغاربية، أو التراث الشعبي المغاربي بشكل عام. ويهتم دارس الفلكلور بكل ما يتناقل اجتماعيا من الآباء إلى الأبناء، وبين سائر الشرائح الاجتماعية في المغرب العربي، مستبعدا بذلك كل ما يمكن اكتسابه عقليا، سواء كانت هذه المكتسبات متحصلة بجهود فردية أم جماعية، أو مؤسساتية، كتلك التي تكتسب من المدارس والمعاهد والجامعات والأكاديميات،... وما إليها من مؤسسات اجتماعية. وبحسب هذه النظرة الشمولية في علاقات الفلكلور بالأدب الشعبي المغاربي، يمكن تقسيم ميادين الدراسة التي يعمل عليها الفلكلور إلى أربعة أقسام رئيسة هي:

1-المعتقدات الشعبية، وكذا المعارف الشعبية.

2-العادات والتقاليد الشعبية، لاسيما المحلية منها التي تخص منطقة المغرب العربي.

3-الأدب الشعبي المغاربي.

4-الثقافة المادية، وكذا الفنون الشعبية المحلية المغاربية.

ويذهب الدكتور "مصطفى جاد" إلى تقسيم ميادين عمل الفلكلور بصفة عامة وشاملة، إلى خمسة ميادين هي:

1-المعتقدات والمعارف الشعبية.

2-العادات والتقاليد الشعبية.

3-الأدب الشعبي.

4-الفنون الشعبية.

5-الثقافة المادية.

والملاحظ أن هذه التقسيمات لا تختلف كثيرا، عن التقسيمات السابقة مما يثبت عدم خروج الأدب الشعبي المغاربي، وكذا الفلكلور المغاربي، عن الاهتمامات ذاتها التي يهتم بها الأدب الشعبي العالمي، وكذا الفلكلور العالمي بشكل عام.

وهذه المواد المتثبتة هي مواد الفلكلور، التي يعد الأدب الشعبي واحدا من مكوناتها. والفلكلور أعم وأشمل من الأدب الشعبي. وبالنسبة لعمل الفلكلور، فهو« يعني ذلك الفرع من فروع المعرفة الإنسانية الذي يعنى بدراسة تلك المأثورات الشعبية أو المادة الفلكلورية من زاوية معينة، تختلف عن الزاوية التي ينظر منها علم الأنثربولوجيا والإثنولوجيا وغيرها من العلوم الأخرى(...) فإن علم الفلكلور يهدف إلى محاولة استخدام حاصل تلك الدراسات في الوصول إلى أوضاع جديدة مفيدة، ونافعة للمجتمع المعني بالدراسة(...) ونستطيع القول بأنه بقدر ما يوغل تاريخ المأثورات الفلكلورية في القدم، بقدر ما يعتبر علم الفلكلور من أحدث العلوم المعاصرة»[1].

فمصطلح الأدب الشعبي المغاربي يعني الإبداعات الشعبية فقط، كالحكاية، والمثل، والنكتة، والشعر الشعبي، والأغاني الشعبية،...في حين تبقى مواد أخرى كالعادات والتقاليد، والمعتقدات، والفنون، والمنتجات الحرفية،...خارجة عن نطاق الأدب الشعبي.

كما تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الأفكار والمعتقدات القديمة، التي تنتمي للأساطير والطقوس والشعائر المختلفة، قد تسربت مع مرور الزمن، والتعاقب التاريخي للحضارات المستمرة، والثقافات التي جعلت تتطور، إلى نطاق التراث الشعبي، وتشعبت وتطورت ضمن العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية، والأدب الشعبي، والفنون الشعبية أيضا، كما هو واضح في بعض العادات الاجتماعية، كما هو حاصل في الجنائز، والأعراس،... وغيرها من العادات الأخرى، الشئ الذي يجعل العلاقة متبادلة بين الأدب الشعبي المغاربي، والفلكلور المغاربي، حيث يمكن التعرف في هذه الحال، على بعض الممارسات الشعبية في منطقة المغرب العربي، وكذا الثقافة المادية، من خلال ما أنتجته المخيلة الشعبية المغاربية من أمثال وألغاز، وحكايات شعبية، وشعر شعبي،...

[1] محمود ذهني: الأدب الشعبي العربي، ص:33/32

المحاضرة الثالثة

أصناف الأدب الشعبي المغاربي

تتسم نصوص الأدب الشعبي المغاربي بالوفرة الهائلة، من حيث الإنتاج والنظم، نتيجة الغنى والتنوع الذي تتميز به المخيلة الشعبية المغاربية، في مجالات النظم والسرد معا. الأمر الذي يجعل التعامل مع هذا التراث الشعبي الواسع والوافر صعبا إلى حد كبير، لاسيما في مجال دراسة خصائص هذا المنتوج الأدبي الشعبي، وكذلك عند تقسيمه إلى فروع وأصناف، وتحديد الأنواع الأدبية والفنية التي تنتمي إليها فروع هذا التراث. وقد قام دارسو الأدب الشعبي العام (العالمي)، بتقديم جهود متواصلة للقيام بعمليات تصنيفية منهجية وفق أسس علمية، مراعين بذلك خصائص نصوص الأدب الشعبي والسمات المشتركة لهذه النصوص. ومن بين التصنيفات الأساسية التي حققت قواسم مشتركة بين الأدب الشعبي العام والأدب الشعبي المغاربي، وكانت مثارا للاختلاف في الآن ذاته؛ تصنيف مواد الأدب الشعبي، وتصنيف أنواع الحكاية الشعبية، سواء كانت هذه الحكاية على المستوى العالمي أو المستوى العربي، أو المستوى المغاربي، أو حتى الجزائري المحلي.

أ/أصناف الأدب الشعبي العالمي والمغاربي:

الملاحظ وجود خلافات كثيرة بين الباحثين والمختصين ،في تصنيف الأدب الشعبي العالمي والمغاربي، وهذا بحسب اتجاهات كل باحث مختص. ومنذ منتصف القرن الماضي ظهرت اتجاهات جادة وموضوعية لتصنيف الأدب الشعبي العالمي والمغاربي، بحسب رؤية كل باحث:

1-تصنيف نبيلة إبراهيم: قدمت نبيلة إبراهيم رؤية لتصنيف الأدب الشعبي، معتمدة في ذلك أبرز الأنواع والأجناس الأدبية الشعبية العالمية والمغاربية، كالآتي: الأسطورة، الحكاية الخرافية الشعبية، الحكاية الشعبية، المثل الشعبي، اللغز الشعبي، النكتة الشعبية، الأغنية الشعبية[1]. وهو التقسيم الذي اعتمده محمد الجوهري، مع تخليه عن بعض الأنواع القليلة، كالسيرة الشعبية، والنداءات والأهازيج.

[1] ينظر في ذلك نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة –مصر، الطبعة الأولى، 1998، ص:53 ومايليها.

2-تصنيف مصطفى جاد: يعتمد الباحث "مصطفى جاد" على رؤية الباحث "محمود مفلح البكر" في تصنيف مواد الأدب الشعبي. وفي هذا الصدد يقول محمود مفلح البكر:« يتفرع الأدب الشعبي إلى فروع رئيسية، تتفرع بدورها إلى فروع عديدة، وأغلب الفروع الرئيسية متفق عليه بين العلماء والباحثين»[1]. وما أورده الدكتور مصطفى جاد من أقسام الأدب الشعبي، يمكن ذكر الآتي: الأساطير، الحكايات، السير الشعبية، الملاحم الشعبية، الشعر الشعبي، الأغاني الشعبية، الأمثال الشعبية، الألغاز الشعبية، الفكاهة الشعبية، التعابير والأقوال الشعبية السائرة، نداءات الباعة، المعضلات اللسانية (كالمشاجرات والمبارزات اللسانية مثلا)، الرقى ، التعاويذ.

ب/أنواع الحكاية الشعبية المغاربية:

سجل الباحثون المختصون صعوبات كثيرة في تصنيف القصص الشعبي المغاربي، وهذا يعود إلى سببين اثنين رئيسين هما: اختلاف الدارسين حول المعايير العلمية التي يمكن اعتمادها في تصنيف أنواع الحكاية الشعبية المغاربية، إلى جانب الخصائص الفنية التي تتميز بها الحكاية الشعبية المغاربية، و طبيعة تطور الثقافة الشعبية المغاربية عبر العصور التاريخية المتعاقبة. ومثل هذه الصعوبات لا تخص الأدب الشعبي المغاربي لوحده، إنما تخص الأدب الشعبي العالمي ككل.

1- تصنيف "أنتي آرني" Anti Arny: ربما مثلت محاولة الباحث الفنلندي أنتي آرني، أهم المحاولات الأولى في تصنيف الحكاية الشعبية الفلكلورية، تصنيفا علميا في كتابه الشهير" فهرست أنماط أو طرز الحكايات الشعبية" The Type Index Of Folkneles الذي نشر سنة 1910م. وقد قام الباحث الأمريكي "ستيث طومسون" Stith Thompson بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية وراجعه مرتين، ليضيف في مراجعته الثانية التي نشرت سنة 1961م، ملخصا يفوق تعداده الألفي حكاية شعبية ما بين هندية وأوروبية. جاعلا لكل تلخيص رقما يميزه، تبعا لمنهجية التصنيف التي تعتمد بداية على تحديد طبيعة الحكايات طبقا لمضمون ومحتوى الحكاية، ثم ترقيمها تحت الباب الذي تنتمي إليه. ويعتمد التبويب عادة على شخصيات الحكاية، مع إبعاد

[1] محمود مفلح البكر: مدخل إلى البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق –سوريا، 2009، ص:85

طبيعة وأنماط الأحداث، كما تحمل الحكايات مع الفهرس، أرقاما تمكن من الإشارة إليها بحسب أنماطها. وقد وجهت انتقادات لهذا التصنيف المنهجي كـ«اقتصاره على الحكايات الهندو أوروبية فضلا عن قصور في الفهرست؛ ذلك أن الشخصية تتغير من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، ولكن الحدث يمكن أن يكون هو الجامع بينها على الرغم من اختلافها تبعا لمجتمعها وثقافتها، التي نشأت فيها»[1]. فأنتي آرني يقوم بجمع ومقارنة الأنواع المختلفة، لكل حكاية في العالم، ويسمي موضوع الحكاية ونموذجها، ويعطيه الرقم الخاص به. وقد كانت الأصناف التي اعتمدها للحكاية الشعبية العالمية كالآتي: حكايات الحيوانات، الحكايات الخرافية، الحكايات الدينية، الحكايات الخيالية، حكايات اللصوص وقطاع الطرق، حكايات الخوارق والعفاريت، النكت والحكايات الهزلية، حكايات الأكاذيب، حكايات المغامرات، حكايات الحيل والخداع، حكايات غير مصنفة.

2-تصنيف عبد الحميد يونس: قدم الباحث "عبد الحميد يونس" رؤيته في تصنيف الحكاية الشعبية، وفق نوعية الشخصيات التي تحويها الحكاية، وكذا طبيعة الجانب الاجتماعي والوظيفي للشخصية الحكائية، فخلص إلى التصنيفات الآتية: حكايات الحيوانات، حكايات الجان، السيرة الشعبية، حكايات الشطار، الحكاية الشعبية المرحة، الحكايات الشعبية الاجتماعية، حكايات الألغاز، حكايات الأمثال[2].

3-تصنيف نبيلة إبراهيم: تعتمد نبيلة إبراهيم في تقسيم وتصنيف الحكاية الشعبية، الأنماط الآتية: حكاية الواقع الأخلاقي، حكاية الواقع الاجتماعي، حكاية الواقع السياسي، حكايات العالم الغيبي، حكايات المعتقدات الشعبية والأسطورية والخرافية، الحكايات الهزلية. ويلاحظ أن تقسيم الباحثة، أخذ بعين الاعتبار الأبعاد الواقعية للقصة والحكاية الشعبية[3].

4-تصنيف مصطفى يعلى: يقول "مصطفى يعلى" محددا التصنيفات المنهجية التي توصل إليها، بشأن دراسة الحكاية الشعبية في المغرب العربي:« إن القصص الشعبي المغربي يحتاج لدى جمعه، إلى

[1] أحمد مرسي: مقدمة في الفلكلور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة –مصر، الطبعة الأولى، 2004، ص:233

[2] يراجع في ذلك عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق –سوريا، الطبعة الأولى 2002، ص:114.

[3] ينظر نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت –لبنان، 1974، ص:29

تبويبه ضمن فئات فنية نوعية، يمكن حصر مفرداتها المصطلحية ومفهوماتها التحديدية، من خلال استيعاب مكوناتها الإجناسية. وها هي محاولة تقريبية في هذا الشأن: الحكاية العجيبة، الحكاية الشعبية، الحكاية الخرافية، الحكاية المرحة... ولعل هذا التحديد الإجناسي المقترح لتمييز أنواع القصص الشعبي جماليا ودلاليا، سيساعد كثيرا على إعادة جمع القصص الشعبي المغربي، في إطار منظم ،يتم تبويب متنه ضمن أنواع سردية شعبية محددة، تمتلك كل منها مكوناتها البنيوية المخصوصة، ومقصديتها الوظيفية، ودلالاتها الاجتماعية»[1].

5–تصنيف محمد سعيدي: يقول "محمد سعيدي" في تقديم رؤيته لتصنيف الحكاية الشعبية:« لقد جرت العادة في تصنيف الحكايات اعتماد عناصر داخلية مختلفة كالأبطال والخوارق والجن، غير أن هذا التصنيف غير ثابت لاحتواء نصوص الحكايات على هذه العناصر مجتمعة. كما جرت العادة أيضا تصنيف نصوص الحكايات اعتمادا على العنصر الموضوعاتي كالحب والإخلاص والدين والكراهية، والحيلة والشجاعة، أو الاعتماد على المحاور الكبرى، كالنصوص ذات النزعة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية،...إلخ. ولكن هذه التصنيفات ذاتية وغير ثابتة؛ فقد يكون النص مصنفا في مصافين اثنين كنص اجتماعي وكنص سياسي، وذلك لاحتوائه على قيم كثيرة ومتغيرة. إن نص الحكاية الشعبية يتقاطع مع أشكال التعبير الشعبي الأخرى كاللغز والمثل والنكتة والشعر؛ وقد أسفر هذا التقاطع على ظهور نصوص مختلفة امتدت معطياتها الشكلية والدلالية. وقد اعتمدنا في تصنيف أنواع الحكايات على هذا التقاطع النصي، والذي تبدو آثاره جلية من خلال القراءة الأولى للنصوص، فجاءت أقسام الحكاية كالآتي: الحكاية اللغزية، الحكاية النكتية، الحكاية الشعرية، الحكاية الشعبية الخرافية»[2]. وبملاحظة المنظور المنهجي الذي اعتمده الدكتور محمد سعيدي، في استنتاج أصناف الحكاية الشعبية، يكون الأدب الشعبي المغاربي، في تصنيفاته على النسق ذاته الذي توصل إليه الباحث، في تصنيفه للأدب الشعبي العربي. حيث أن الأصناف المذكورة، هي ذاتها الأصناف التي حويها الأدب الشعبي المغاربي، سواء باللغة الأمازيغية المحلية الأصلية، أم اللهجة العامية الدارجة، مع

[1] مصطفى يعلى: القصص الشعبي المغربي: إشكالية التصنيف والتجنيس، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرابط –المغرب، الطبعة الأولى 1994، ص:117

[2] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، –سوريا، الطبعة الأولى، 1991، ص:63

وجود أصناف أخرى، هي من صميم الحياة الشعبية المغاربية، مشتركة بين مختلف أقطار المغرب العربي. وطبيعي جدا أن الثقافة الشعبية المغاربية، تزخر بمختلف تلك الأنواع والتصنيفات للحكاية الشعبية المغاربية.

6-تصنيف عبد الحميد بورايو: يقدم الدكتور "عبد الحميد بورايو" منظوره المنهجي في تصنيف الحكاية الشعبية المغاربية، والجزائرية منها خصوصا، على أساس العناصر المشتركة الثابتة من الناحية الشكلية، بين مختلف قصص وحكايات منطقة المغرب العربي. يقول في هذا الموضوع:« فقد عملت على مراعاة العناصر الثابتة ذات الطبيعة الشكلية بصفة أساسية، إلى جانب ذلك استندنا على التمييزات التي عينها حملة التراث وعلى اختلاف ظروف أداء القصص ومناسباته ونوعية الرواة والوسط، الذي يقبل عادة على تلقي النوع القصصي. إلى جانب ذلك حاولنا تتبع الظروف التاريخية التي تطور كل نوع، وكل شكل فرعي»[1]. ويقدم الدكتور عبد الحميد بورايو تصنيفاته للحكاية الشعبية الجزائرية والمغاربية كالآتي:

-قصص البطولة وهي أنواع: قصص البطولة البدوية، قصص المغازي، قصص الأولياء، قصص الزهاد، قصص الخارجين عن القانون، قصص الثوار.

-الحكايات الخرافية وهي أنواع: الحكايات الخرافية البحتة، حكايات الأغوال ذات السمة الغيبية.

-الحكايات الشعبية وهي أنواع: حكايات الواقع الاجتماعي، الحكايات الشعبية المحلية، حكايات الحيوان، النوادر[2].

مع تطور الأبحاث المتخصصة في الأدب الشعبي، مما أنتج تطورا في أشكال التصنيف والتقسيم الخاص، بأجناس الأدب الشعبي المغاربي، والحكاية الشعبية المغاربية، تبين للباحثين المختصين أن التقسيم حسب الموضوع أو الطريقة، رؤية قاصرة إلى حد ما، يمكن أن تفضي إلى أخطاء منهجية. ويمكن كذلك أن تؤدي إلى توسع مخل في تقسيم وتصنيف الأدب الشعبي المغاربي، أو الحكاية الشعبية المغاربية. لذلك أجمع الباحثون على أن يعتمد التصنيف أسسا أخرى هي من صميم الطابع

[1] عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، -الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص:89

[2] ينظر المرجع نفسه، ص:90

المحلي للأدب الشعبي المغاربي، والحكاية الشعبية المغاربية؛ الأساس الأول هو الشكل، ثم الجانب التاريخي وظروف نشأة الأنموذج الشعبي المغاربي. و هي الرؤية ذاتها التي يمكن أن تنطبق على الأدب الشعبي الجزائري. وفي هذا الصدد يقول الدكتور "ناصر عبد العزيز":« ومهما يقال عن إشكالية تصنيف القصص الشعبي الجزائري، فلا يقال أكثر من كونها أشكالا فرضتها ظروف آنية، حتمتها مفاهيم هي من الخطأ أقرب إلى الصواب. ونعتقد –فيما تيسر علمه– أن مرد ذلك إلى اعتبارات منها على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي: قلة إن لم نقل ندرة المادة الشعبية السردية الجزائرية المجموعة. ومن هذه القلة المجموعة والمدونة من قصصنا الشعبي الجزائري، ما لا يتعدى مناطق جزائرية بعينها، لا تعكس في مجملها إلا أجزاء باهتة من إبداع وخيال الإنسان الشعبي الجزائري»[1]. هذه رؤية باحث جزائري، حول مسألة تصنيف القصص الشعبي الجزائري، الذي يرى أن الإشكالية الفعلية في هذا التصنيف متعلقة أساسا، بقلة جمع مادة القصص الشعبي الجزائري، مما يعكس قلة الاهتمام العلمي الممنهج بهذه المادة الشعبية، الشئ الذي يؤكد الصعوبة المنهجية المذكورة. وهي الرؤية ذاتها التي يمكن أن تنطبق إلى حد كبير، على إشكالية تصنيف القصة الشعبية المغاربية.

إضافة إلى ذلك يمكن تحديد صعوبات منهجية أخرى إضافية، لتصنيف القصص الشعبي المغاربي كالآتي:

-بالنسبة للتصنيف العالمي، فهو تصنيف يناسب بيئته الاجتماعية والتاريخية التي أنتجته. وهذا الذي يبرر عدم تمكن البحوث الأجنبية التي درست المنطقة المغاربية، خلال الفترة الاستعمارية أو بعدها، من التوفيق في تصنيف مادة القصص الشعبي المغاربي. فعملية الإسقاط للأنموذج الغربي على نماذج أدبية شعبية مغاربية، تختلف معها في نواحي عدة، سواء أكانت هذه النواحي اجتماعية أو واقعية أو تاريخية، وحتى دينية. الشئ الذي لم يترك مجالا للشك في عدم تقبل استخدام بعض المصطلحات في تحرير الكثير من البحوث المتخصصة. وكذا عدم تقبل تفاصيل كل نوع، من أنواع الأدب الشعبي المغاربي، أو القصص الشعبي المغاربي.

[1] ناصر عبد العزيز: إشكالية تصنيف القصص الشعبي الجزائري، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، العدد الأول 2009، جامعة المسيلة، ص:153

-غياب التصنيف العربي، لتراث الأدب الشعبي العربي والمغاربي على حد سواء، وضعفه كذلك في الإحاطة بالذخيرة التراثية الشعبية المغاربية على وجه الخصوص. وهذا على عكس الدول والمجتمعات الغربية، التي عنيت بعملية جمع تراثها المحلي وحتى العالمي، في مرحلة مبكرة من مراحل التاريخ، بدعم من حكوماتها، والدوائر البحثية المختصة، ووفق خطط علمية ذات أبعاد عميقة ومستمرة أيضا؛ في الوقت الذي ظهرت فيه بعض الخطوات والمبادرات المتعثرة إلى حد ما، في بعض دول المشرق العربي كمصر مثلا، أو بعض دول الخليج العربي. أما الدول المغاربية، فلا تزال تراوح مكانها، في حدود جهود فردية فقط، من أجل جمع المادة التراثية الخاصة بها وبشعوبها.

-التنوع الهائل للحكاية الشعبية المغاربية، حيث يمكن العثور على أنواع عدة من الحكايات ضمن الأنموذج الحكائي الواحد.

-عدم توحيد الجهود العلمية في دول ومجتمعات المغرب العربي، بين مختلف الباحثين المختصين، بغرض التوصل لإنجاز أعمال علمية منهجية، تختص بجمع وتصنيف المادة التراثية في المغرب العربي، والقيام بدراستها وتحليلها بعد ذلك.

المحاضرة الرابعة

أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغاربي

الملاحظ لأشكال التعبير في الأدب الشعبي المغاربي، يجدها كثيرة ومتنوعة، هذا بالإضافة إلى أن المهتم بتراث سائر الأمم الإنسانية الأخرى، يكتشف مقدار التداخل سواء من الناحية الجزئية أو الكلية في البناء الشكلي لأشكال التعبير تلك وكذا في الموضوعات. وهذا ليس بالأمر الغريب، بحكم أن المغرب العربي منطقة جغرافية واسعة، ومتنوعة من حيث الطبيعة والموارد والثقافة. كما أن الشعوب المغاربية هي شعوب لها جذور تاريخية عريقة ، واختلطت بباقي الشعوب الإنسانية الأخرى. لذلك كان لزاما النظر في العلاقات المشتركة بين أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغاربي، وأشكال التعبير في الأدب الشعبي الجزائري، والأدب الشعبي العربي العام. إضافة إلى رصد مواطن التماثل والاختلاف أيضا، بين الأشكال التعبيرية بين الآداب الشعبية لمختلف تلك الشعوب.

أ/الحكايات الشعبية العجيبة: تمثل الحكاية الشعبية العجيبة، شكلا هاما من أكثر الأشكال إثارة وبروزا في المرويات الثقافية الشعبية في المغرب العربي. وقد أشارت مختلف الدراسات العرقية (الإثنوغرافية) والإناسية (الأنثربولوجية)، وكذا الدراسات السوسيوثقافية منذ "ابن خلدون"، إلى ثراء المغرب العربي بمختلف الحكايات الشعبية العجيبة، لاسيما في المناطق الناطقة باللغة الأمازيغية، والتي صارت أجزاء منها فيما بعد، ناطقة باللغة العربية، بعد بداية شيوع اللغة العربية منذ الفتوحات الإسلامية للمغرب العربي. وقد لاحظ الباحثون وجود تهجين لمثل هذا النوع من القصص، خلال فترة الحكم العربي لبلاد المغرب ككل، عندما تداخلت عناصره مع عناصر الملحمة الشعبية، على نسق ما حدث للقصص "الهلالية"[1].

ب/المغازي: هي شكل من أشكال التعبير الأدبي الشعبي في منطقة المغرب العربي. وقد عرف هذا الشكل رواجا منذ بداية الحركة الاستعمارية على بلاد المغرب العربي. وحملة هذا النوع الأدبي هم من المداحين؛ « وهم رواة محترفون كانوا يجوبون الأسواق وينتقلون بين المراكز السكانية المختلفة في المغرب

[1] للتوسع أكثر يراجع في ذلك عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية –التاريخ والقضايا والتجليات–، دار فيسيرا للنشر والتوزيع، –الجزائر، الطبعة الأولى 2011، ص:100

العربي. يمثل هذا الشكل التعبيري أدبا ملحميا استمد عناصره من الثقافة العربية الإسلامية، وقد تحولت بعض مواده في سياق تطورها إلى حكايات شعبية بطولية»[1].

ج/القصص الهلالية: هو لون قصصي شعبي ملحمي، ذو طبيعة بدوية، يخلد بقايا سيرة "بني هلال". ينتشر غالبا في ليبيا وتونس والجزائر. « وتختلف رواياته وأبطاله تبعا للمناطق المختلفة، وقد عرف تطورا في بنيته الشكلية لما امتزج بالحكاية الشعبية، وكذلك بقصص كرامات الأولياء في البلدان المغاربية»[2].

د/شعر الحكمة الشعبي: ينتشر هذا النوع من الشعر، الذي نظم عادة في شكل رباعيات، في سائر أقطار وأنحاء المغرب العربي ومن أشهر نظامه " الشيخ عبد الرحمان المجذوب" الذي أثار لبسا كبيرا حول شخصيته الحكمية، والذي عرف بكثرة تجواله في مختلف أنحاء المغرب العربي. حيث وجد أناس كثر يحفظون له أشعارا كثيرة، بلهجاتهم، وكأن هذا الشاعر الشعبي الكبير كان ينظم أشعاره، بمختلف اللهجات المغاربية المعروفة. وقد نشرت مجموعات شعرية لهذا الشاعر في الجزائر، ظهرت فيها اللهجة العامية الجزائرية العربية واضحة، رغم أن ما كتب عن سيرة حياة الشاعر، يقر بأنه عاش في أراضي الجارة المغربية (المغرب الأقصى).

هـ/الأمثال والألغاز الشعبية: قسم الباحثون الأمثال والألغاز الشعبية، إلى أنواع، منها ألغاز عربية فصيحة تعود أصولها إلى الأدب الجاهلي، وأخرى إلى صدر الإسلام، وهذا تبعا لطبيعة الظروف الجغرافية، إلى جانب عوامل حضارية أخرى، كالثقافة والدين، والأمر ذاته ينطبق على المثل، فبحكم الأصول الحضارية المشتركة بين الأمثال الشعبية وكذا الألغاز، توجد الكثير من هذا الأشكال التعبيرية الشعبية التي رويت، ومصدرها الأدب الجاهلي، كما جاء في لغز الميزان على سبيل المثال:

قاعد ومريح والخير يجبه

لكلام ما يتكلم والحق يعطيه

[1] المرجع السابق، ص:100

[2] المرجع نفسه، ص:102

هذا لغز شعبي مستمد، من آثار المنظومة الشعرية الأدبية الجاهلية، حيث ورد في بعض آثار الشاعر الجاهلي "امرئ القيس"، في قوله للشاعر "عبيد بن الأبرص" قوله:

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناس

فكان رد عبيد بن الأبرص كالآتي:

هي الموازين والرحمان أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا

ومن العناصر الهامة التي تسهم غالبا في تكوين الأمثال والألغاز الشعبية، عناصر الثقافة العربية الإسلامية؛ هذه العناصر التي تؤكد حضورها بقوة،« فهناك ألغاز ترتبط بقصص الأنبياء مثل قولهم (ثلاثة بلا والدين، واحد عاصي وزوج تايبين)، و الحل هو(إبليس/، وآدم وحواء). وألغاز ترتبط بالشعائر الدينية كقولهم في الكعبة المشرفة (كحلا يا محلاها، واللي يشوفها يتمناها)، أو قولهم في تحية السلام (تبدا بالسين والسين شرعية، نصها عليك ونصها عليا)، أو في صلاة عصر يوم الجمعة (سر بين جهرين)»[1].

ويبقى السؤال المطروح حول اختلاف اللهجات العامية العربية، رغم بقاء نصوص الأمثال والألغاز الشعبية متشابهة إلى حد كبير؟.. يقول الدكتور "عبد اللطيف الدليشي" في ذلك: «.. والمثل ما هو مقتبس في معناه من آي القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو المثل الفصيح، أو ما هو محرف في لفظه من المثل الفصيح أيضا. كما أن منه ما يعتمد في معناه على أحداث تاريخية أو اجتماعية معينة، أو أبطال اتصفوا بالشجاعة أو الكرم، أو الوفاء أو الإيثار»[2].

ومن الباحثين من يرى أن أساس التماثل والتشابه القائم، بين الأمثال والألغاز الشعبية، يعود إلى المصدر الحقيقي لهذه الأمثال والألغاز الذي هو الشعب، و« الذي يستمده من صميم الواقع، وأنها نتاج الإبداع الجماعي لأجيال كثيرة. وأكثر الأمثال والألغاز لا يعرف قائله، ولا تاريخ منبعها»[3].

[1] أحمد بن محمد بن الصغير: الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، –الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص:34

[2] http://alnoor.se/article.asp عبد اللطيف الدليشي: الأمثال الشعبية في البصرة، الموقع الإلكتروني:

[3] http:/alnoor.se/article.aspid فخري صبري عباس: العناصر المشتركة للأمثال العامية العربية –دراسة مقارنة في الأنثربولوجيا الثقافية–، الموقع الإلكتروني:

وهناك أمثال وألغاز شعبية في منطقة المغرب العربي مصدرها، "السيرة الهلالية"، التي عادة ما تروى في الجزائر، وتونس مثلا، من ذلك هذا اللغز الذي رواه الأمير الهلالي "ذياب بن غانم الهلالي" في السيرة لزوجته(واش هوما سته اللي يغلبو سته). حل اللغز هو:(النار يغلبها الما، الما تغلبو العقبة، العقبة تغلبها الخيل، الخيل تغلبها الرجال، الرجال يغلبوهم نساهم، النسا يغلبوهم أولادهم).

كما يلاحظ التشابه الواضح للكثير من الألغاز الشعبية في منطقة المغرب العربي، بنظيراتها في المشرق العربي وباقي أقطار الوطن العربي، على الرغم من شساعة مساحة الوطن العربي مشرقا ومغربا. من ذلك مثلا هذا اللغز المتعلق بالدجاجة والبيضة: (حي جاب ميت، وميت جاب حي). يلاحظ التطابق اللفظي ذاته، في المثل الذي يروى في الجزائر: (حي جاب ميت، وميت جاب حي).

وكذلك لغز "السيجارة"، حيث يروى بطريقة متطابقة أيضا، بين تونس والجزائر. ففي تونس يروى كالآتي:

صاحبي لعزيز علي هونته ما حب يهون

وين يضيق الحال علي نحشي راسو في الكانون

ويروى في الجزائر كالآتي:

صاحبي لعزيز علي حبو شاعل في المكنون

منين يضيق علي الحال ندير رويسو في الكانون

الملاحظ أن أمثلة التطابق اللفظي والمعنوي، بين الأمثال والألغاز الشعبية كثيرة جدا. وهذا التطابق لم يأت عبثا أو بمحض الصدفة، إنما هو امتداد طبيعي لآداب أمة المغرب العربي، وكذلك هي ميراث ثري عن الأسلاف، المؤكد لوحدة هوية المغرب العربي، رغم التباعدات السياسية، وتعدد اللهجات. وإذا كان تشابه المأثورات الشعبية في ذاكرة أجناس بشرية، تختلف أرومتها وألوانها وتاريخها وأدياناها، وتتباعد بيئاتها وثقافاتها، وتتباين طبائعها ولغاتها وأنماط عيشها وعاداتها، كثيرا ما يطرح التساؤل، ولا يجد مبررات طرحه إذا تعلق الأمر بشعوب، مثل الشعوب المغاربية التي تشترك –كما هو واضح–، في التاريخ والثقافة والحضارة، والمنطقة الجغرافية منذ أزمنة قديمة جدا.« من هنا كان التوافق بين الألغاز

والأمثال المغربية والجزائرية والتونسية كبيرا، في قواعد الإبداع وطرائق الإلقاء والتلقي، وعادات الرواية والتداول وظروفهما. وكان التشابه واضحا في المعاني والصور، والتقارب بينها في الصيغ والأنماط والقوالب، وكان التماثل في الموضوعات عاما متكاملا»[1].

تمثل الهوية المغاربية حضورا قويا في أدب السيرة الشعبية، خاصة في السيرة الهلالية، والأمر ذاته مع سيرة الإمام "علي بن أبي طالب" –كرم الله وجهه–. كما تجسد حضورا مميزا في الحكايات الشعبية الخرافية وغير الخرافية، وكذلك الأمثال والألغاز، والشعر الشعبي. هذه الأشكال التعبيرية الشعبية المتنوعة، حافظت بقوة على الهوية العربية، كما حافظت على الطابع المحلي للهوية المغاربية. حيث سجلت رباعيات الشاعر المغربي الحكيم عبد الرحمان المجذوب حفظا مميزا، لدى العامة من سكان منطقة المغرب العربي. كما أسهمت الأساطير والحكايات الشعبية الخرافية، وغيرها من الشعر الشعبي الأمازيغي لمنطقة المغرب العربي، إسهاما حيا في المحافظة على الخصوصية المحلية، للهوية المغاربية بأبعادها التراثية الأمازيغية العميقة، وكذا العربية الإسلامية.

[1] أحمد زيادي: الأحاجي المغربية، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط، –المغرب، الطبعة الأولى 1994، ص:454

المحاضرة الخامسة

الشعر الملحون المغاربي ومجالاته

أ/ماهية الشعر الملحون:

توصل الدارسون المختصون إلى تحديد عدة مصطلحات مفاهيمية، لتسمية الشعر الملحون. وسعى كل واحد من الباحثين إلى الدفاع عن اختياره وتوجهه العلمي. حيث يلاحظ في هذا المجال اختيار كل باحث متخصص للمصطلح الذي يلائم طبيعة توجهاته العلمية، ورؤاه المنهجية. ولعل هذا مبرر وجود عدة مصطلحات تستخدم للمجال نفسه منها: الشعر الشعبي، الشعر الملحون، الشعر العامي،... ولم يقتصر أمر اختلاف استخدام المصطلح على الباحثين فحسب، إنما تجاوز الأمر حتى إلى الشعراء المبدعين، والذين كانت لهم مصطلحات أخرى، عادة ما تكون مصطلحات أو تسميات "عامية". حيث يكون لهؤلاء الشعراء أنفسهم « تسميات أطلقوها على أشعارهم تماشيا مع بيئاتهم وما توارثوه عن أسلافهم، فالشعراء يطلقون أسماء كثيرة على أشعارهم منها: الكلام، الميزان، الغنا، القول، القصيدة، الشعر،...»[1]. فيقولون: فلان عنده كلام كبير، جاب عليه كلمة؛ أي قصيدة.

ب/إشكالية التسمية:

يعتقد الباحثون أن الشعر الملحون أعم وأشمل من الشعر الشعبي، بحكم لغته العامية الخالية من القواعد النحوية والصرفية، حيث يشمل كل شعر منظوم بالعامية، سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله، سواء روي مشافهة أم كتابة، دخل حياة الشعب فأصبح ملكا للشعب، أو كان شعرا خاصا لخاصة من الناس أو علية القوم.« وعليه فوصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو لحن يلحن في كلامه؛ أي نطق بلغة عامية غير معربة. أما وصفه بالعامي فقد ينصرف معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته، وقد ينصرف إلى نسبته للعامة، فكان وصفه بالملحون مبعدا له من هذه الاحتمالات»[2].

---

[1] عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية –التاريخ والقضايا والتجليات–، دار فيسيرا للنشر والتوزيع، –الجزائر، الطبعة الأولى 2011، ص:42

[2] المرجع نفسه، ص:53

يفضل كذلك الدكتور "عبد الله الركيبي" استخدام مصطلح "الملحون" بدل مصطلحات أخرى للشعر الشعبي المغاربي ، حيث يقول:« اخترت مصطلح الشعر الملحون دون غيره من المصطلحات التي استخدمها الباحثون (...) تماشيا مع ما شاع في البيئة الأدبية بالمغرب العربي، التي عنيت بدراسة هذا الشعر وجمعته وسجلته، فقد اتخذ هذا الشعر اللهجة العامية أو الدارجة أداة له وبذلك كان تعبيرا عن مزاج العامة من الناس»[1]. بحسب رؤية الدكتور عبد الله الركيبي، اختيار مصطلح الشعر الملحون دون غيره من المصطلحات الأخرى، لشيوعه في البيئة الجغرافية للمغرب العربي، كما أن الدراسات النقدية اختارت هذا المصطلح، وجعلته متداولا في مختلف البحوث المتخصصة، إلى جانب اتخاذه اللهجة العامية كوسيلة للتعبير والتواصل.

يرى "التلي بن الشيخ" أن سبب اختلاف الباحثين في تسمية الشعر الشعبي، يعود إلى عدم وجود تحديد منهجي واضح لمفهوم مصطلح "الشعبية" في الأدب والأدب الشعبي بصفة عامة، يقول:« وبالرغم من أن الباحثين في الأدب الشعبي يستخدمون تعبير الطبقات الشعبية، مثلما يطلقون تسمية الأدب الشعبي على الإبداعات الشعبية كمسلمات أو بديهيات، فإنهم لا يتفقون عند الحديث عن الشعر الشعبي(...) كما أن كلمة ملحون قد أطلقها البعض على الشعر دون النثر مع أن اللحن من خصائص الأدب الشعبي شعرا ونثرا، بالإضافة إلى أن اللحن يشمل كل أنواع التعبير الشعبي»[2]. من منظور التلي بن الشيخ لا يوجد اتفاق حول مصطلح الشعر الشعبي، من منظور المختصين في المجال. إضافة إلى ذلك كلمة "الملحون" هي من خصائص الأدب الشعبي ككل، بمختلف أشكاله التعبيرية، مع أن الكثير يربطها بالشعر دون سواه من الأشكال أو الأجناس التعبيرية الأخرى، في الأدب الشعبي.

يوظف الباحث المغربي "عباس الجراري" مصطلح "الزجل" مقابلا للشعر الشعبي يقول:« فإننا نفضل إطلاق الزجل على كل أنواع الشعر الشعبي(...) وندعو إلى هذه التسمية بدلا من أية تسمية

[1] عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، 1983، ص:363

[2] التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة التحريرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، 1983، ص:366

أخرى تطلق عليه، مهما بلغت من الذيوع والانتشار»[1]. وللباحث أسباب منهجية حدت به، لاختيار مصطلح الزجل بدل الشعر الشعبي، هي:

-يطلق مصطلح الزجل على كل شعر ، يتم نظمه باللهجة العامية، لذلك يعد الزجل الأندلسي مصدرا أساسيا لكل شعر ملحون.

-شيوع مصطلح الزجل، بين سائر الشعراء والنظامين في المغرب الأقصى.

-شيوع مصطلح الزجل، في سائر بلاد الوطن العربي، بما في ذلك بلدان المغرب العربي المجاورة، وبهذا يمكن لمصطلح الزجل المساهمة في توحيد مصطلحات الشعر الشعبي، في بلاد الوطن العربي ككل.

ويلاحظ بأن الدكتور عبد الله الركيبي اعترض على توظيف مصطلح الزجل كمقابل للشعر الشعبي، حيث يعتقد بأن « إطلاق مصطلح الزجل على الشعر الجزائري الملحون لا يستقيم، لأن ألفاظه ليست عامية، وإنما هي مزيج بين الفصحى والعامية»[2].

من خلال ما تقدم ذكره من آراء الباحثين المختصين، يتضح الاختلاف البين في استخدام المصطلحات التي تدل على "الشعر الشعبي"؛ منهم من يستخدم مصطلح الشعر الملحون، ومنهم من يستخدم مصطلح الشعر الشعبي، ومنهم من يستخدم مصطلح الزجل، ولكل باحث في ذلك رأيه الخاص المستند لاعتبارات منهجية.

واستخدام مصطلح الشعر الملحون في الجزائر بقوة، يعود إلى عدة اعتبارات علمية هي:

-شيوع استخدام المصطلح مغاربيا، وعلى وجه الخصوص في الجزائر.

-يعد اللحن خاصية هامة جدا في تسمية الشعر الملحون.

-يرتبط الشعر الملحون في الكثير من الأحيان بالغناء، وهذا واضح جدا في منطقة المغرب العربي.

-لا يشترط في الشعر الملحون أن يكون قائلة أو ناظمه مجهولا؛ فالشاعر يؤكد اسمه في آخر القصيدة. كما يؤكد أيضا تاريخ نظمه للقصيدة، وهي الخاصية الأساسية التي يختلف فيها الشعر الملحون، عن السرد الأدبي الشعبي.

---

[1] عباس الجراري: الزجل في المغرب، دار توبقال للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء –المغرب، الطبعة الأولى، 1997، ص:363

[2] عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ص:53

ج/نشأة الشعر الملحون المغاربي:

يذهب الكثير من الباحثين إلى الاعتقاد بأن الشعر الملحون ظهر في منطقة المغرب العربي، مع ظهور الفتوحات الإسلامية، وازداد انتشاره ورسوخه مع مجئ "الهلاليين"، الذين أسهموا كثيرا في نشر اللغة العربية في الجزائر، وبعض بلاد المغرب العربي.

يرى الدكتور عبد الله الركيبي، أن الشعر الملحون في الجزائر وسائر بلاد المغرب العربي، تأثر بقدوم قبائل "بني هلال" أراضي المغرب العربي، حاملين معهم لهجاتهم العربية المتعددة. وتغلغلوا في مناطق الجزائر والمغرب العربي حيث أثروا فيها بلهجاتهم العربية تأثيرا كبيرا، لاسيما المناطق الجنوبية والداخلية[1].

ويرى "محمد المرزوقي" بأنه لم يتم العثور على أي نص شعري نظم باللهجة العامية، يعود إلى ما قبل منتصف القرن الخامس للهجرة؛ أي قبل تاريخ قدوم بني هلال أراضي المغرب العربي. لذلك فقبائل بني هلال أدت دورا هاما في تطوير الشعر الملحون.« وكثرة أولئك الأعراب وتغلبهم على إفريقية وانتشارهم في مناكبها عرب البلاد، وأذاب أو كاد يذيب العنصر البربري الأصيل، في العنصر العربي المتغلب. فسادت لغتهم وانتشر شعرهم، ولم يبق —بعد نحو قرن من استقرارهم بالبلاد–، مكانا للشعر الفصيح، إلا في الحواضر حيث توجد الثقافة ودواليب الحكم»[2].

ويؤكد التلي بن الشيخ بأنه يصعب جدا، الوصول إلى رأي قاطع وحاسم، بشأن نشأة الشعر الشعبي في منطقة المغرب العربي، نتيجة انعدام نصوص مادية تثبت ذلك. ويعلل غياب هذه النصوص، قبل الهجرة الهلالية بأحد الاحتمالين الآتيين:

–تطرق الشعر الملحون لأغراض شعرية استهجنها الدين الإسلامي، كالافتخار بالقبلية والأنساب والعشيرة، وشيوع الغزل الماجن في ثناياه أحيانا، مما أدى إلى زهد الشعراء في نظم هذا النوع من الشعر الشعبي.

---

[1] يراجع في ذلك المرجع السابق، ص:368.

[2] محمد المرزوقي: الشعر الشعبي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، –تونس، الطبعة الأولى 1993، ص:54

-غياب الكتابة والتدوين نتيجة انتشار الأمية، مما أدى إلى ضياع هذا الشعر، لاسيما بعد وفاة رواته وحفظته الذين كانوا يضمنون استمرار هذا الشعر، وتواصله بين الأجيال.

ينطبق الاحتمالان على الشعر الشعبي البدوي في البيئة المغاربية، أما الشعر الشعبي الذي ساد في المناطق الحضرية، فيرجع أغلب الدارسين تأثره بالموشحات والأزجال الأندلسية، التي حاول الشعراء المغاربة محاكاتها وتقليد طرائق نظمها، والنسج على منوالها. وهو رأي "ابن خلدون" إذ يقول:« ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه(...) نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا»[1].

بعد مرحلة المحاكاة والتقليد، استقل الشعر الشعبي المغاربي عن الأزجال والموشحات، حيث استخدم سكان المغرب العربي أساليب شعرية جديدة كـ"عروض البلد"، وهو الأسلوب الذي يقول عنه ابن خلدون:« ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعارض مزدوجة كالموشحة، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه "عروض البلد"، وكان أول من استحدثه رجل من الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير. فاستحسنه أهل فاس، واستفحل فيه كثير منهم»[2]. فهذا الشعر (الشعر المغاربي الملحون)، عرف قفزة نوعية، وتطورا هاما، بعد زحف قبائل بني هلال على أراضي المغرب العربي، ومع الشعوب الإسلامية النازحة من الأندلس (الموريسكيون)، بعد سقوط "غرناطة" –آخر ممالك الأندلس-، بيد القشتاليين المسيحيين.

د/أنواع الشعر المغاربي الملحون:

يمكن تمييز نوعين من الشعر الملحون المغاربي هما: الشعر الملحون البدوي، والشعر الملحون الحضري. ويختص هذا التقسيم بطبيعة خصوصية كل قطر من أقطار المغرب العربي. وباقي التقسيمات الأخرى للشعر الملحون المغاربي، لا توجد لدى كل الدارسين، حيث تتعلق التفريعات الإضافية الأخرى، بطبيعة المحيط الاجتماعي والثقافي المعيشي لكل بلد مغاربي. وكذلك تتناسب تلك التفريعات، مع طبيعة تخصص كل باحث، ومدى توسعه في دراسة الشعر الملحون المغاربي، وإلمامه بطبيعة تفاصيله

[1] عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، -القاهرة، د/ط، د/ت، ص: 1350

[2] المرجع نفسه، ص:1358/1357

وخصوصياته الجمالية. لذلك تقسيم الشعر الملحون المغاربي إلى النوعين المذكورين، هو أكثر قابلية من الناحية المنهجية، نتيجة احتواء هذين النوعين لباقي التفريعات الأخرى، التي تظهر لدى الباحثين المتخصصين، بحسب توجهاتهم المعرفية والمنهجية.

1-الشعر الملحون البدوي: يسود أكثر هذا النوع من الشعر في المناطق الصحراوية والمناطق الداخلية لدول المغرب العربي، يتميز بلغة قوية وفصيحة، يوظف الأمثال والتعابير الوصفية، تكاد بنيته الفنية وقوة لغته وتصويره تشابه إلى حد بعيد الشعر العربي الجاهلي. كما يمتاز بتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، من غزل ووصف ورثاء وفخر وفروسية،...إلخ. حيث أدى تشابه البيئة الاجتماعية والقبلية في مجتمعات المغرب العربي، إلى تقارب نوعي بين نظم شعراء الشعر الملحون، وقصائد الشعراء العرب القدامى.

كما تجدر الإشارة إلى تأثر الشعر البدوي الملحون، بشعر شعراء قبائل بني هلال، الذين وفدوا أراضي المغرب العربي، مع الهجرة الهلالية المعروفة، حيث حاول شعراء المغرب العربي، محاكاة النمط الشعري للشعر الهلالي.

2-الشعر الملحون الحضري: ينتشر هذا النوع في المدن والحضائر السكنية، فانعكست طبيعة البيئة على نوعية الشعر الملحون، من حيث الموسيقى ورقة الأسلوب، وتنوع الإيقاع، وحرية الخيال؛ إذ يميل الشعراء الحضريون إلى التفنن في القافية والوزن، والليونة والسهولة في الألفاظ والتعابير، بحكم النشأة الحضرية للشعراء المغاربة الذين ينظمونه، فاكتسبوا بذلك عادات المدن الحضرية المغاربية، وطبيعة أذواق أهلها، الشئ الذي يرجح تأثر الشعر الحضري المغاربي، بالأزجال والموشحات الأندلسية.

المحاضرة السادسة

الأغاني الشعبية المغاربية ومجالاتها

مثلت الأغنية الشعبية في الثقافة الشعبية ككل، وفي الثقافة الشعبية المغاربية على وجه الخصوص، شكلا مميزا من أشكال التعبير الثقافي والفني في المجتمع. وهذا لأنها تتوسل بالكلمة واللحن والموسيقى، التي غالبا ما ترافقها.

1-تعريف الأغنية الشعبية Folk Song:

الأغنية الشعبية هي الشعر الشعبي والموسيقى والإيقاع اللذان يصاحبانه. تردده الجماعات البشرية التي ينتشر أدبها الشعبي وثقافتها الشعبية، بالرواية الشفوية، دون اعتماد الكتابة والتدوين وأساليب ووسائل الطباعة والنشر والتوزيع. والأغنية الشعبية كغيرها من الفنون الثقافة الشعبية الأخرى، التي تعتمد الكلمة عادة في التعبير، تعيش وتتطور، تنتقل بين الأفراد والجماعات، والبيئات الاجتماعية المختلفة، والأجيال بواسطة الرواية الشفوية. وقد لاحظ الدارسون والمختصون أن المغنين الذين يبدعون الأغنية الشعبية، لا يعتمدون الكتابة والتدوين، حتى ولو كانوا على درجة من التعليم والثقافة، لأن الأغنية الشعبية، تدرب فنانوها ومؤدوها على طريقة السماع. لذلك مثلت جانبا هاما من جوانب الفلكلور، « وهي قصيدة شعرية ملحنة، تعتمد موسيقاها على السماع وليس على نوتة موسيقية مكتوبة. وهي مجهولة النشأة وترتبط بالشعب وتنتشر وتشيع بين الأميين والعامة من الناس، ساكني الأحياء الشعبية والمدن. وكذلك العمال في أزمنة ماضية، وبقيت متداولة في أزمنة طويلة»[1].

2-سمات الأغنية الشعبية المغاربية:

-الرواية الشفوية والانتشار: هي سمة أساسية وهامة تتميز بها الأغنية الشعبية المغاربية، حيث تنتشر عن طريق الرواية الشفوية؛ « فكل فرد في الجماعة التي تتذوقها يسهم في حفظها ونشرها. وكثيرا ما يشترك أهل القرية جميعا، في علمهم بأغانيهم الشعبية»[2].

[1] حسين عبد الحميد رشوان: الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، دار الانتصار للنشر والتوزيع، القاهرة –مصر، الطبعة الأولى 1993، ص:114

[2] عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، ص:74

–الحفظ والذاكرة الجيدة: تمثل الذاكرة الواعية قدرة هامة، على حفظ ألحان الأغنية الشعبية. كما تعد الكلمة « مزية أعظم من حسن الصوت في كثير من الظروف وعند الكثير من الشعوب؛ فالحافظة الجيدة لها مكانة الصدارة بين المؤهلات الواجب توفرها، في المغني الشعبي»[1]. ولا تشذ الأغنية الشعبية المغاربية، عن هذه القاعدة الجمالية، كونها تعتمد الذاكرة الواعية والحفظ الجيد، للإبقاء على ذاتها، ثم انتشارها بعد ذلك في الأوساط الاجتماعية.

–التماثل الشعبي: هي ظاهرة من أهم الظواهر التي تتميز بها الأغنية الشعبية المغاربية. حيث لاحظ الدارسون المختصون، التماثل في اللحن لهذه الأغنية الشعبية المميزة. كما لاحظوا هذا التماثل في مختلف الصور المتضمنة في الشعر، بين الأغاني رغم اختلافها فيما بينها، من حيث الخصوصية الحضارية، ومن حيث الانتماءات الاجتماعية. فأغاني الأطفال على سبيل المثال، تكاد تتماثل وتتشابه، بين مختلف أطفال شعوب العالم. والأمر ذاته ينطبق على أغاني الحب ، وسائر الأغاني العاطفية، وأغاني العمل، وأغاني المناسبات. بالإضافة إلى خصائص فنية أخرى وجمالية، تشترك فيها الأغنية الشعبية المغاربية، مع باقي أشكال التعبير الأدبي الأخرى، في الأدب الشعبي المغاربي.

3–نشأة الأغنية الشعبية المغاربية:

تعد الأغنية الشعبية المغاربية من فنون التعبير الجمالي، التي زخر بها الأدب الشعبي المغاربي. حيث تطورت مع تطور، فنون الرقص والطقوس الفنية الأخرى المصاحبة لها. وارتبطت في بداياتها الأولى بجوانب روحانية متعلقة بالعقائد الدينية والطقوس الشعائرية، حيث أدت دورا هاما، تمثل في إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والروحية لأبناء المجتمع. ويلاحظ أن الأغنية الشعبية المغاربية، « لا تتوقف على المواضيع الروحية فحسب، بل تمتد إلى المواضيع الدنيوية والمحرمة»[2]. وفي أصل نشأة الأغنية الشعبية المغاربية، فقد نشأت وتطورت مع نشأة وتطور الشعر الشعبي المغاربي. حيث يلاحظ

[1] المرجع السابق ، ص:74

[2] إبراهيم الحميدري: أنثروبولوجيا الفنون التقليدية، دار اللاذقية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1984، ص:112

تداخل الشعر الشعبي المغاربي مع الأغنية الشعبية المغاربية، « فكثير من الأشعار الشعبية تردد على الألسنة، دون تلحين، ثم تلحن تلقائيا بعد ذلك في بعض الأحيان»[1].

وفي قراءة تاريخ الأغنية الشعبية المغاربية، يلاحظ أنها تمثل طبيعة في النفوس. كما أنها لسان العواطف ولغة القلوب. وغالبا ما كان يميل العرب، وكذا سكان منطقة المغرب العربي، إلى الحب واللذة، وسائر فنون الطرب والشعر، إلى جانب التعابير البسيطة من حكم وألغاز.« كما كان للشاعر مكانة اجتماعية سامية في كل مكان، سواء أكان ناظما أم موسيقيا»[2]. وفي رأي بعض الباحثين العرب المتخصصين، يذهب الاعتقاد بداية، إلى إيقاع "الحداء"، الذي تتصف به حوافر الإبل وهي تعبر الصحراء منتظمة في شكل قوافل. ويمثل كذلك غناء القافلة أيضا، خلال سفرها في الصحراء. بحكم أن "الحداء" إيقاع خفيف من بحر الرجز، مما جعله (الحداء) أشد الأنواع الإيقاعية ملائمة للغناء الشعبي، المتسم بالارتجالية في الكثير من الأحيان.

4-أصناف الأغنية الشعبية المغاربية ووظيفتها:

هناك أصناف متعددة للأغنية الشعبية المغاربية، حيث تحقق تطابقا نوعيا مع الأغنية الشعبية العربية بصفة عامة في المشرق العربي. وتتمثل هذه الأصناف في:

1-التهاليل: هي أغاني تغنى للطفل.

2-المهاهاة: وهي زغاريد تطلق في المناسبات الاجتماعية ، كالأفراح مثلا.

3-أغاني الأعراس: وتشمل أغاني شعبية تؤدى في الخطبة، والحناء، والحمام، والزفاف،...وشتى أنواع الأفراح.

4-أغاني الختان.

5-أغاني العمل: وهي كثيرة الأنواع منها: أغاني الحراثة، أغاني الحصاد، أغاني التوريد كتوريد الماشية، أغاني الدراسة كدرس القمح والشعير، أغاني الخضاض وتؤدى أثناء خض اللبن، أغاني القصاص وتؤدى أثناء قص الصوف والشعر والوبر، أغاني الغزل والنسيج تؤدى أثناء غزل الصوف والشعر

[1] محمود مفلح بكر: البحث الميداني في التراث الشعبي، ص:86

[2] هنري جورج فارمر: تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث الهجري، ترجمة: جرسيس الله المحامي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1982، ص:58

ونسجه، أغاني القرى وتؤدى أثناء إعداد طعام الأعراس والختان...، أغاني الطحن تؤدى أثناء جرش الحبوب وطحنها بالجاروشة، أغاني الباعة المتجولين، أغاني الشحاذين،...

6-أغاني السمر: وهي نوع من الأغاني الشعبية الاجتماعية، وغالبا ما تكون متنوعة، تؤدى عادة دون موسيقى، وتؤدى في بعض الأحيان ببعض الآلات الموسيقية كالربابة والدف والعود والشبابة والمجوز...

7-أغاني الرقص: هي أغاني شعبية ومتنوعة، شائعة في الأوساط الاجتماعية المغاربية، كأغاني السحجة البدوية، أغاني اللفحة، أغاني الدارة، أغاني الرقصات الدينية على كثرتها وتنوعها، بحكم الوازع الديني القوي، الذي تتميز به منطقة المغرب العربي. وأغاني الدبكة، وتشاع عادة في البيئة المشرقية العربية، لاسيما في بوادي ومدن الشام ككل.

8-أغاني المحترفين: وهي أغاني منتظمة يؤديها مغنون شعبيون، يحترفون مهنة الغناء لكسب عيشهم. وعادة ما يؤدونها في مناسبات معينة، كالأفراح والأعياد الوطنية والدينية.

9-العديد: هي أهازيج ومواويل تؤدى في الأحزان، وما يرافق العديد من حركات. وهو أنواع: عديد إعلان الوفاة، عديد الجنازة، عديد القبور، عديد المآتم.

10-الأغاني الدينية: تشمل هذه الأغاني عادة، الجوانب الدينية الصرفة بطابع شعبي، وتشيع في الديانة الإسلامية والديانة المسيحية على حد سواء، كأغاني القصص الديني، المدائح النبوية، أغاني أصحاب الطرق، الابتهالات، الأغاني والأهازيج الكنسية.

11-أغاني الأعياد والاحتفالات: وهي أغاني شعبية متنوعة، تشيع كثيرا في منطقة المغرب العربي، كأغاني الإسراء والمعراج، أغاني قدوم شهر رمضان، أغاني السحر، أغاني الأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى، أغاني الحج، أغاني رأس السنة الهجرية، أغاني رأس السنة الميلادية، أغاني عاشوراء، أغاني الحج المسيحية، أغاني الأعياد المسيحية، أغاني النيروز، أغاني اكتمال القمر عندما يصير بدرا وتسمى أغاني القمر، أغاني الخسوف(خسوف القمر)، أغاني المصنع وهي أغاني وأهازيج شعبية شائعة، في مناطق الجولان المحتل بسوريا.

5-دواعي وجود الأغنية الشعبية المغاربية:

هناك عدة دواعي أدت إلى وجود الأغنية الشعبية المغاربية، في الآداب الشعبية عامة، وفي الأدب الشعبي المغاربي على وجه الخصوص. وهذه الدواعي متعلقة أساسا، بطبيعة المناسبات التي تؤدى فيها الأغاني الشعبية، وهي كالآتي:

1-المناسبات المرتبطة بدورة الحياة: هناك أغاني عديدة، مثل أغاني الميلاد، الختان، الخطوبة، الزفاف، البكائيات. وهناك أغاني متعقلة بالمناسبات الدينية مثل أغاني المولد النبوي الشريف، أغاني الحجاج في ذهابهم إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج أو العمرة، والعودة منهما. أغاني العمل وهي متنوعة، منها أغاني منتظمة الإيقاع وأخرى غير ذلك.

2-أغاني شعبية تؤدى بحسب البيئات والجماعات البشرية المختلفة، كأغاني البدو، أغاني المجرودة، أغاني الغنيوة، أغاني الشتيوة، وأغاني مجرودة العصا،...وغيرها من الأغاني الأخرى المنتشرة في منطقة المغرب العربي.

ورغم أن تصنيف الباحثين المشارقة، بشأن دواعي وجود الأغنية الشعبية بشكل عام، جاء محددا يختص بطبيعة بيئاتهم فحسب، وفق رؤية كل باحث؛ فتصنيف الدكتورة "نبيلة إبراهيم" يبدو شموليا إلى حد ما، ويلائم سائر البيئات العربية، بما في ذلك بيئة المغرب العربي. لأن هذا التصنيف يعتمد الوظيفة المنوطة بالأغنية الشعبية، ودواعي وجودها. وفي هذا الصدد تختار الباحثة ثلاثة أقسام للأغنية الشعبية العربية وهي:

1-أغاني المناسبات الاجتماعية: في حال الحديث عن أغاني المناسبات الاجتماعية، من حيث الدور والوظيفة، ودواعي وجودها؛ فإن ما يمكن قوله هو : أن هذه الأغاني هي تلك التي تؤدى في كل مناسبة اجتماعية، مثل أغاني الزواج، أو الختان، أو أسبوع الطفل الحديث الولادة. أو أغاني الحج، أو الموالد (الاحتفالات)، أو أغاني للأولياء الصالحين،...

2-أغاني العمل: دواعي وجود مثل هذه الأغاني، هي حث الناس على العمل والإنتاج. لذلك تكون أغنية العمل تفتقد أحيانا للوحدة الموضوعية؛ لأن فترة العمل الزمنية تطول أحيانا، فيضطر

المغني إلى إضافة كل ما يلائم الأغنية من كلمات وألحان، تكون متناسقة مع طبيعة الأغنية ووظيفتها. وقد يتغنى الناس أيضا بكلمات تفيد بطبيعة ونوعية العمل الذي يقومون به. ومن الممكن أن يصاحب العمل، غناء فردي يستمع إليه الناس، فيطربون له، وينال إعجابهم؛ فيقبلون على العمل بحماس فياض، متناسين بذلك مشقته وعنائه[1].

3-الموال: الموال في الأغنية الشعبية عامة نوعان: الموال الأخضر وهو الموال الذي يشيد بالنضرة والجمال والحياة والحب والتفاؤل. والموال الأحمر وهو الذي يتحدث من خلاله الإنسان الشعبي، عن لوعته وآلامه، لخوفه من ضياع القيم الأخلاقية والإنسانية في المجتمع[2]. ومثل هذه الأنواع من الموال، موجودة وشائعة في العديد من طبوع الأغنية الشعبية المغاربية، كالغناء الشعبي المعروف، المديح، الحوزي، الأندلسي، الغناء الشبابي كأغنية "الراي" الشائعة أكثر في الغرب الجزائري، والشرق المغربي.

إن الجانب الوظيفي والفني في الأغنية الشعبية المغاربية، أقوى وأعقد مما هو عليه، في الأغنية الفنية المصقولة؛« ذلك لأن دورة الحياة عند كل إنسان لا بد أن تصاحبها الأغنية الشعبية. إنها تستقبل المولود الجديد، وتهدهد الطفولة، وتحتفل بحفظ النوع الإنساني. إنها تساير العمل مسايرة دقيقة»[3]. فهي بذلك جزء لا يتجزأ من التقاليد الاجتماعية الشعبية. وتعبر عن التغيرات الحاصلة في الظواهر الاجتماعية. وتودع أحيانا الكائن البشري، إلى مثواه الأخير.

[1] ينظر في ذلك كتاب الدكتورة نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص:238/237.

[2] ينظر المرجع السابق، ص:247.

[3] عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، ص:75

المحاضرة السابعة

القصص الشعبي وأنواعه

لابد من التمييز بداية بين مصطلحي "القصة" و"الحكاية"، لأن هذا التمييز هو شيء منهجي غاية في الأهمية، في موضوع السرديات القديمة والحديثة. ويبدو أن المصطلحين بداية يقعان في دائرة الترادف الدلالي، حيث يبدو الفرق دقيقا بينهما[1].

يطلق في الغالب الأعم مصطلح "القصة" في اللغة العربية، على النسق الروائي . Le Roman ، وهي القصة التي تعتمد قواعد فنية خاصة في السرد[2]. وتعالج القصة عادة قضايا معاصرة، توحي بانتمائها إلى الواقع المعاش. لذلك فالقصة هي « نسيج سردي يختزل الخطاب إلى منطق وأفعال ووظائف، ملغيا بذلك الأزمنة ومظاهر وأنماط القصة –كما هي عند تودوروف وبارت–.فالقصة هي وصف أفعال عبر حكايات سردية، وهي الكلمات الواقعية الموجهة من الكاتب إلى القارئ»[3].

أما مصطلح "الحكاية"، فهو مأخوذ من المعنى اللغوي « حكيت فلانا وحاكيته، فعلت مثل قوله سواء لم أجاوزه»[4]. والحكاية هي الأحداث المروية، مع شخصيات حية متحركة، تحاكي الواقع مع ما يضيفه الراوي من خيال جمالي.

وإذا نظرنا في الفعل "حكى" الذي اشتقت منه كلمة "حكاية"، « نراه شديد الارتباط في أصله بالمشافهة ولا علاقة له بالمكتوب، فهو يعني في الأصل قلد أو حاكى، لتتطور دلالته بعد ذلك فيصير له، معنى حدث أو روى»[5].

1–مفهوم الحكاية الشعبية: يمكن حصر مفهوم الحكاية الشعبية عموما، ضمن مفهومين أساسيين؛ مفهوم لغوي ومفهوم اصطلاحي.

---

[1] ينظر في ذلك ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق –سوريا، الطبعة الأولى 2003، ص:111.

[2] سمير المرزوقي، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، –الجزائر، د/ط، د/ت، ص:16

[3] عزيزة مريدن: القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، –الجزائر، د/ط، د/ت، ص:16

[4] أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب –الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حكى، دار المعارف، القاهرة –مصر، د/ط، د/ت، ص:753

[5] عز الدين إسماعيل: القصص الشعبي في السودان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة –مصر، 1971، ص:19

–المفهوم اللغوي: مصطلح "حكاية" مأخوذ من « حكى يحكي كقولنا: حكيت فلانا وحاكيته أي، فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه»[1]. هذا تعريف لغوي أورده "ابن منظور"، في كتابه "لسان العرب"، يقصد به "التقليد". فمصدر مادة "حكى" عنده بمعنى "قلد"، و"الحكي" هو "التقليد"، أو السير على المنوال دون مخالفة أو تجاوز.

–المفهوم الاصطلاحي: اختلفت التعريفات والمصطلحات التي وضعها الباحثون والدارسون المتخصصون، لمصطلح "حكاية"، و"الحكاية الشعبية". ومن بين هذه التعاريف يمكن إيراد نماذج:

–يعرف "حسين عبد الحميد رشوان" الحكاية الشعبية فيقول:« تعد الحكاية الشعبية من أهم وأقدم ما ابتدعه الإنسان، فهي ذاكرة قديمة تعبر عن مشاعره وأحاسيسه وواقعه وتخيلاته؛ فهي ترتبط بالواقع، وتعطيه صيغة خيالية تأملية، لتحسن التعبير عن حدوثها في الواقع»[2].

–ويعرف "عبد الحميد يونس" الحكاية الشعبية فيقول:« يكون اصطلاح الحكاية الشعبية فضفاضا، يستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي، الذي تراكم عبر الأجيال والذي حقق بواسطته الإنسان كثيرا من المواقف، ورصده الجانب الكبير من معارفه. وهو ليس وقفا على جماعة دون أخرى، ولا يغلب على عصر دون عصر آخر»[3].

–ويعرفها "عبد الحميد بورايو" فيقول:« الحكاية الشعبية شكل قصصي، يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي، الذي يعيشه الشعب»[4].

وفق هذه النماذج المذكورة، يلاحظ اختلاف الباحثين من حيث صياغة التعاريف الاصطلاحية، في الوقت ذاته. وهناك اتفاق نوعي حول الطابع الشعبي للحكاية الشعبية، وواقعيتها في الآن ذاته، وارتباطها بالحياة الاجتماعية للناس، وعلاقاتها الوطيدة بخصوصيات المجتمع. ومثل هذه التعاريف تنطبق إلى كبير على الطبيعة الشعبية والاجتماعية، للحكاية الشعبية المغاربية، نتيجة الاشتراك في الخصوصية الحضارية القائمة، بين الحكاية الشعبية العربية والحكاية الشعبية المغاربية. وليس بعيدا أن

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب –الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حكى، ص:753

[2] حسين عبد الحميد رشوان: الفلكلور والفنون الشعبية، منشورات المكتب الجامعي الحديث، القاهرة –مصر، الطبعة الأولى 1993، ص:57

[3] عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة –مصر، الطبعة الأولى 1968، ص:11

[4] عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر، الطبعة الأولى 1986، ص:118

تكون هذه الخصائص المذكورة، في التعاريف الواردة مشتركة بين مختلف أنواع الحكاية الشعبية الإنسانية ككل.

2-أنواع الحكاية الشعبية المغاربية: يمكن ذكر بعض الأنواع للحكاية الشعبية المغاربية، وهي كالآتي:

1-حكاية الواقع الاجتماعي: وهي الحكاية« التي تكشف عن الصراع الطبقي، وعن علاقات الجماعة الشعبية. وتحكي عن واقع الناس ومشاكلهم»[1]. هذا النوع من الحكاية شائع في منطقة المغرب العربي ومميز. حيث يختص بحكاية واقع الناس، وملامسة طبيعة وأنماط معيشتهم. ومن الممكن أن يسود في هذا النوع من الحكاية، نوع من الخيال الشعبي أو الكثير منه، غير أن السمة الواقعية تبقى سائدة على مستوى الحكاية الشعبية المغاربية، ذات المنظور الاجتماعي.

2-الحكاية الشعبية الأخلاقية: هي حكاية شعبية تعرفها منطقة المغرب العربي منذ القدم، تتحدث عن تمسك أبناء المجتمعات المغاربية، بأصولهم الأخلاقية، وعاداتهم وتقاليدهم، وخوفهم من انهيار تلك القيم، والمساس بمقومات المجتمع المغاربي الحضارية. وهذا النوع من الحكاية لا يعنى فقط، بإبراز قيمة الأخلاق وأهميتها في المجتمع، إنما يدعو من ناحية أخرى، إلى التحلي بقيم أخلاقية إضافية، هي من صميم قيم المجتمع، والتي من شأنها الإسهام في تماسك المجتمع، والإبقاء على لحمته. والقيم الأخلاقية غالبا ما تميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية الأخرى، لذلك أشادت الحكاية الشعبية المغاربية بها. وتأسس نوع من الحكاية الشعبية نسب إليها، كان من صميم مخيلة المجتمع الشعبي المغاربي.

3-الحكاية الشعرية: يمتاز هذا النوع من الحكاية بميزتين أساسيتين، فهو« إما أن يكون كل نص الحكاية شعرا، أو أن يتخلل النص بعض المقاطع الشعرية، يؤدي نفس المعنى لنص الحكاية. وهذا يثري النص ويضفي عليه، طابعا موسيقيا إيقاعيا خاصا»[2]. يشيع هذا النوع من النصوص الشعبية، لدى الرواة المغاربة الذين يروون حكايات وقصص الغزل. ولدى أولئك الرواة الذين يهتمون بوصف

[1] نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص:184

[2] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص:66

الحبيبة، والفرس، وغيرها من الجوانب الفخرية في المجتمع المغاربي. كما يشيع أيضا في المناسبات الدينية والوعظية، وروايات السير الشعبية والمغازي والملاحم الذائعة الصيت في المغرب العربي.

4-الحكاية اللغزية: تدور الحكاية الشعبية اللغزية عادة حول مجموعة من الألغاز. والملاحظ أن الحكاية الشعبية عنيت كثيرا بالألغاز منذ بداية التعبير الإنساني،« بل إن هناك حكايات عالمية لا تزال تدور أحداثها، حول الألغاز كمعضلات يطرحها العقل البشري»[1]. وتبدأ الحكاية اللغزية بطرح لغز، يطلب حله. وهذه تتطلب إمكانات ذهنية من جانب، ومن جانب آخر يطرح اللغز على البطل، ويطلب منه البحث عن حل له. وهذا يقتضي منه السفر والخروج من بلاده أحيانا، والمغامرة أيضا، ومواجهة الأحداث والمخاطر، في سبيل إيجاد الحل المطلوب[(2)].

ولطالما انشغل الأدب الشعبي المغاربي بالحكاية اللغزية، فوجد في المخطوطات القديمة الكثير منها. كما أنها لا تزال تمثل طبعا من طبوع الأدب الشعبي المغاربي، في الكثير من المناطق الجغرافية في بلاد المغرب العربي. وعدت مجالا لاختبار الذكاء، ومجالا للحكمة واختبار الحياة، ومجالا للسمر والفكاهة،...

5-الحكاية الهزلية: تعرف الحكاية الهزلية على أنها « قصة أو أحدوثة قصيرة منظومة أو منثورة، وهي ساخرة بسيطة في بنائها»[(3)]. تدور الحكاية الهزلية عادة، حول الحياة اليومية للناس. وإذا كانت شخصيات الحكاية الهزلية، تتسم ببطء الاستجابة الشرطية لواقع الحياة، وتتخذ في بعض الأحيان هيئات مختلفة ، كهيئة الحيوان مثلا وسلوكاته، فإنها تحافظ دائما على جوهرها الإنساني، من حيث الشخوص والأحداث في الكثير من الأحيان.« وتغلب على هذه الحكايات المفارقات التي تتميز بالغباء أو البلادة أو الخدعة، وقد يكون موضوعها ماجنا وهي خالية من التعقيد»[(4)]. ومن خصائص الحكاية الهزلية أيضا، أنها حكاية يندر فيها عنصر الخوارق، وتتخذ أسماء مختلفة، كالدعابة، والطرافة،... وغالبا ما يشيع هذا النوع من الحكاية ، في بلاد المغرب العربي، نتيجة حاجة الفئات

[1] المرجع السابق، ص:108/107

[2] ينظر في ذلك عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص: 96

[3] نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص:186

[4] عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص:74

الشعبية لهذا النوع من الحكي، لأنه يلبي حاجات اجتماعية لديها. ويعطي إمكانات تعبيرية واسعة، للإفصاح عن مكنونات الذات الشعبية المغاربية.

6-حكايات الحيوانات: يعد هذا النوع من الحكايات، من أقدم الحكايات الشعبية في بلاد المغرب العربي، وفي سائر بلاد العالم. وغالبا ما يتردد هذا النوع من الحكايات على ألسنة الكثير من الناس. هي حكايات توجد في كل بيئة مكانية، ولدى مختلف الأجناس البشرية من كل الأجيال والطبقات الاجتماعية.« وقد استطاعت أن تحتل مكانا ظاهرا بين الأشكال القصصية، فهي عبارة عن شكل قصصي يقوم الحيوان فيه بالدور الرئيسي»[1]. وهذا النوع من الحكايات، يقدم ذكاء الإنسان المتميز على لسان الحيوان. كما يمنح إمكانية التعبير الرمزي، ونقد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، على لسان الحيوان دون استخدام الأساليب المباشرة في التعبير.

7-الحكاية الدينية: وتسمى أيضا قصص أو سير الأولياء الصالحين. حيث أن فكرة الخير شغلت الإنسان منذ وجوده على ظهر البسيطة. وعبر عن هذه الفكرة، بوسائل تعبيرية شتى، كالأسطورة والخرافة، وكذا قصص الأولياء الصالحين، من خلال رؤى قصصية مختلفة. في الأسطورة تتجسد قيم الخير في الإنسان، لكن لا يمكن أن يكون أنموذجا يقتدى به، بحكم ابتعاد الأسطورة عن الواقع، واحتكامها للخوارق. لكن في قصص الأولياء الصالحين يكون الإنسان أنموذجا يقتدى به، لأن أعماله « تصلح للمحاكاة بما تتسم به من كرامات وبطولات، وغيرها من الأعمال الصالحة»[2]. ونظرا لأن منطقة المغرب العربي، تزخر بالأولياء الصالحين من ذوي الوجاهة لدى الناس، فقد حيكت حولهم قصص هامة جدا، تحدثت عن سيرهم و كراماتهم وحتى بطولاتهم، في الجهاد ومقاومة المحتل. ومنهم حتى من شارك في حروب التحرير، كقصة سيدي "أبومدين الغوث الجزائري"، الذي شارك في حملات "صلاح الدين الأيوبي"، لفتح "بيت المقدس" بـ"فلسطين".

[1] المرجع السابق، ص:29

[2] عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص:108

8-الحكاية المثلية: المثل الموجود ضمن الحكاية المثلية الشعبية، هو في حد ذاته حكاية. وتتسم هذه الحكاية بصغر حجمها، مع أنها توازي حجم نص حكاية طويلة.« والمثل ما هو إلا ملخص الحكاية، أو أحداث قد وقعت»[1].

ولأن المثل يعد من أبرز وسائل التعبير والتواصل، فقد كان ولا يزال وسيلة هامة لدى شعوب المغرب العربي، في التعبير عما يريده الإنسان الشعبي المغاربي، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. من هنا وجد الكثير من نماذج الحكاية المثلية في الأدب الشعبي المغاربي.

3-خصائص الحكاية الشعبية المغاربية: للحكاية الشعبية المغاربية جملة خصائص تميزها، هي كالآتي:

-العراقة: ليست الحكاية الشعبية المغاربية، وليدة اللحظة أو موقف معين[2]، إنما انتقلت من جيل إلى جيل عن طريق الوراثة.

-الحرية: تنتقل الحكاية الشعبية المغاربية من شخص لآخر، ومن جيل لآخر بحرية مطلقة، عن طريق الرواية الشفوية[3].

-المرونة: تتميز الحكاية الشعبية المغاربية، بقابليتها للتطور، حيث تؤدي الحياة الإنسانية والواقع المتناقض، إلى تطويرها؛ فيضاف إليها أو يحذف منها، وقد تختصر في بعض الأحيان، أو تعدل عباراتها ومضامينها، وعلاقاتها على مستوى الراوي الجديد، الذي يقوم بروايتها حديثا. وهذا بحسب مزاج الراوي أو موقفه بحسب ظروفه وبيئته الاجتماعية[4].

-فنية البناء: غالبا ما تتميز الحكاية الشعبية المغاربية، ببناء فني مميز وربط للأحداث واستطرادها، «ويحتمل السرد بالفواصل بين الجمل، والسجع والإيجاز في العبارة»[5].

هناك خصائص أخرى تضاف للحكاية الشعبية المغاربية، منها:

---

[1] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص:65

[2] ينظر في ذلك عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص:11

[3] ينظر المرجع نفسه، ص:12

[4] ينظر في ذلك حسين عبد الحميد رشوان: الفلكلور والفنون الشعبية، ص:59

[5] عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص:12

-امتزاج السرد بالخيال الشعبي وما شابه ذلك من الخوارق والعجائب، ليكون بعيدا عن الواقع.

-توجز خصائص الشخصيات ومواصفاتها في رموز، أو عبارات عامة.

-كثرة الأحداث والمغامرات، والعجائب التي هدفها غالبا إرضاء المتلقي أو المستمع.

-اعتماد البساطة والمعاني الرمزية، والمبالغة في الأحداث أحيانا، مما يقربها من الخرافة أحيانا أخرى.

-الابتعاد عن رواية التفاصيل، للإبقاء على الأبعاد الخيالية للحكاية.

-إظهار الشخصية البطولية، كشخصية شاحبة الملامح، ممثلة لمعاني البطولة والحيلة والقوة، بغرض جذب اهتمام المتلقين أو المستمعين، وتحقيق عنصر التشويق.

-تضمين الحبكة الحكائية معاني فلسفية وحكمية ، وقيم أخلاقية لإثارة اهتمام المستمعين والمتلقين. كما تهدف لتحقيق قيم تربوية هادفة.

المحاضرة الثامنة

السيرة الشعبية المغاربية

تعد السيرة الشعبية المغاربية من أهم الأنواع القصصية، ذات الأبعاد التاريخية والتعريفية. وتعد "تغريبة بني هلال" من أهم السير الشعبية المغاربية، الشائعة في البلاد العربية، وبلاد "المغرب العربي الكبير"، لاسيما في المناطق الصحراوية الجنوبية. وتعد جزءا هاما من الموروث الشعبي المغاربي، ومن أكثر السير تداولا من السير الشعبية الأخرى.

1-تعريف السيرة الشعبية:

-لغة: تؤخذ لفظة "سيرة" من الجذر اللغوي « سايرهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة، وسير السيرة أحاديث الأوائل»[1]. وفي "القاموس المحيط" «السيرة بالكسر السنة والطريقة والميزة والهيئة»[2]. ولفظة "سير" مفردها "سيرة"، تحمل مدلولات لغوية متعددة، كأن تحمل معنى "السنة"، كأن نقول : اتخذت سنة معينة سرتها، بمعنى جعلتها سائرة بين الناس ومعروفة لديهم. ثم يأتي المعنى الثاني "للسيرة" وهو "الشيوع"، كأن نقول: سار الكلام في الناس، أي شاع بينهم وصار معروفا متداولا. ثم المعنى الثالث "للسيرة" وهو "الطريقة"، كقولنا: سار بالناس سيرة حسنة، أي جعل لهم طريقة حسنة يسيرون وفقها. ويحمل المعنى الرابع "للسيرة" معنى "الهيئة"، كقول "الله تعالى" في "القرآن الكريم"، مخاطبا "موسى" – عليه السلام-:﴿ سنعيدها سيرتها الأولى﴾[3].

-اصطلاحا: تحمل لفظة "سيرة" بمعناها الاصطلاحي ومدلولها التاريخي أيضا، معنى تصوير حياة شخصية تاريخية معروفة، وفق التطور الزمني لسيرة تلك الشخصية المراد رواية تفاصيل حياتها. ويتم هنا توضيح كل الأحداث، ذات الارتباطات المباشرة وغير المباشرة لصاحب السيرة. حيث يتم التطرق في هذه الحال لمختلف نواحي الحياة السياسية والثقافية والمذهبية للشخص المعني بالرواية عن حياته[4].

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مادة سير ،الجزء الخامس، ص:903

[2] مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، -مصر، الطبعة الأولى 2008، ص:828/827

[3] القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، سورة طه، الآية :21

[4] ينظر في ذلك مرسي الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية –القاهرة، د/ط، د/ت، ص:41.

والسيرة هي « تاريخ من حيث تناولها لحياة فرد له أهمية، في موجة الأحداث في عصره، أو جماعة لعبت في تاريخ الشعب أو الإنسانية، دورا ذا أثر»[1]. هذا الرأي ينطبق على مختلف كتابات السيرة الذاتية والغيرية، مع الالتزام بالحقيقة الموضوعية التي ينبغي إثباتها بالأدلة والقرائن.

أما "السيرة الشعبية" فهي « القصص الشعبي الذي ينمو ويعيش بدافع اللاشعور الجمعي؛ ويرتبط بتواريخ ووقائع وأحداث عن شخص أو قبيلة، تغلب عليها المبالغات والخوارق، التي تضيفها عليها المخيلة الشعبية، مما يدرجها في عالم الخرافات والأساطير»[2].

يعتبر مصطلح "السيرة الشعبية" مدلولا أدبيا منهجيا، لمختلف الدلالات المعرفية السابقة، المتعلقة بمصطلح "السيرة"، من الناحية اللغوية والاصطلاحية. حيث يلاحظ بقاء جانب من الدلالة التاريخية للسيرة الشعبية، وجانب آخر من دلالتها الاجتماعية. وجوانب أخرى متعلقة بفن الكتابة الروائية أو السردية. وأخرى متعلقة بالدلالات الأسطورية والملحمية والشعائرية القديمة، إضافة إلى شيء من الشعر، بعضه معروف ومتداول، والآخر يكون من نظم مؤلف السيرة[3].

2-نشأة السيرة الشعبية:

تستوعب السيرة الشعبية الحكمة والتجارب الإنسانية ، وتهدف إلى تحقيق المثل العليا. لذا كان من الطبيعي جدا أن يحتفل المخيال الشعبي العربي، بسيرة النبي محمد "ص". إضافة إلى ذلك، فقد عمل الوجدان الشعبي العربي، على اجتذاب المزيد من الشخصيات السيرية، التي كان من شأنها تحقيق المثل الدينية، والقيم الاجتماعية والقومية. لذلك انتشرت نماذج من السيرة الشعبية، تقوم الواحدة منها على بطل أو مجموعة من الأبطال، ذات وجود تاريخي حقيقي وفعلي. والملاحظ على هذا النماذج السيرية العربية، أنها تمجد أبطالها، لدرجة ما أنها سميت باسم البطل الرئيس، المطلع بمختلف أحداث السيرة الشعبية. ويمكن ذكر نماذج منها:

-سيرة عنترة بن شداد.

---

1 فاروق خورشيد ومحمود ذهني: فن كتابة السيرة الشعبية –دراسة فنية نقدية لسيرة عنترة بن شداد- دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة –مصر، 1991،ص:90

[2] إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم –الأنواع والوظائف والبنيات-، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 2008، ص:83

[3] يراجع في ذلك المرجع نفسه، ص:32.

-سيرة سيف بن دي يزن.

-سيرة الزير سالم (المهلهل بن أبي ربيعة).

-سيرة الظاهر بيبرس(الملك الظاهر).

-سيرة الأميرة ذات الهمة (شجرة الذر).

-سيرة علي الزئبق.

-سيرة بني هلال.

-سيرة حمزة البهلوان.

3-تغريبة بني هلال:

"تغريبة بني هلال" هي مجموعة من الأحداث الإنسانية المتتابعة، والتي حدثت خلال فترة زمنية معينة. جمعت هذه الأحداث إليها عناصر مختلفة من حقيقة وخيال، وتاريخ وجغرافية الأرض، والحياة البديوية في كافة تشعباتها، واتصالها المزدوج بحياة البدو والحضر على حد سواء.

واتخذت السيرة من التاريخ وطبيعة الأرض، وكذا الحياة البدوية على وجه الخصوص، إلى جانب أسماء الأشخاص والجماعات والمدن، واقعا تاريخيا لها. كما استقت مما أضافه المخيال الشعبي العربي والمغاربي على حد سواء، من خرافات وأساطير ومعتقدات شعبية، كالسحر والخوارق رؤية أسطورية لها، مثلت بعدا آخر. بالإضافة إلى استيعابها لواقع جماعاتها وقبائلها وظروفها ومسيراتها، لتجعل منه واقعا نفسيا واجتماعيا أيضا.

لقد مزجت "تغريبة بني هلال" مختلف هذه الأبعاد من « التاريخي إلى الأسطوري إلى النفسي؛ أي قيم الجماعة الحاضرة، فكانت التغريبة، وكانت الروايات الشفوية الهلالية، خاضعة كل منها لمنطق واضح هو ثبات أو حركية النص الشعبي المدون والشفهي، وصولا إلى رسم وتصوير الأحداث، وصور البطولات، التي أنتجتها ظروف قاهرة، لاسيما ظروف "نجد" المسغبة التي دفعتها نحو إفريقية كمحطة أولى. فالتغريبة تروي حركة جماعة أو مسيرة جائعة، متضررة طبيعيا من الجفاف، وسياسيا كاضطهاد

"المنتصر بالله" لها، والذي اختفى منها وبرز بشكل آخر، في ظروف الرحلة من المشرق إلى المغرب»[1].

4- لمحة عن تغريبة بني هلال:

تغريبة بني هلال هي قصة شعبية عربية طويلة، كتبت شعرا ونثرا، من أجل توضيح أحداثها ورواية التفاصيل المتعلقة بها.

عرفت منطقة المغرب العربي هجرة قبائل "بني هلال"، إلا أنها لم تبدأ من الحقبة الزمنية للعصر الجاهلي، بل كان لها وجود فعلي في الزمان والمكان قبل الفترة الجاهلية العربية، في بوادي "نجد" بـ"شبة الجزيرة العربية".

والتغريبة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء أساسية؛ يغطي الجزء الأول وجود قبائل "بني هلال" في "شبة الجزيرة العربية". ويغطي الجزء الثاني انتقالهم بعد ذلك إلى بوادي "الأردن" و"فلسطين". أما الجزء الثالث فيتناول هجرة قبائل "بني هلال" إلى الشمال الإفريقي (بلاد المغرب العربي) مرورا بـ"مصر".

كان السبب الأول والرئيس لهجرة قبائل "بني هلال"، إلى "بلاد المغرب العربي"، هو حالة الجدب والجفاف التي حلت بأراضيهم الأصلية، بـ"شبه الجزيرة العربية"، وبالتحديد في أراضي "نجد" و"الحجاز". ولم تجد هذه القبائل من إمكانية للعيش، غير البحث عن مواطن أخرى للماء والكلأ.« فكان أن أخذ "أبوزيد الهلالي" معه الأمراء الثلاثة، أبناء السلطان "الحسن بن سرحان"، وهم "مرعي" و"يونس" و"يحي" إلى "تونس"، فيقعون في أسر "الزناتي خليفة"، هذا الأخير الذي أطلق سراح "أبي زيد الهلالي"، ليحضر فدية الأمراء الثلاثة من "نجد". إلا أنه يعود (أبو زيد الهلالي) بجيش لغزو "تونس"، وقبل الدخول يلجأ إلى حيل يستعمل فيها النساء كـ"الجازية" مثلا، ويخلص الأسرى الثلاثة، ثم يقتل "الزناتي خليفة"...»[2].

أطلق اسم "بني هلال"، على القبائل العربية التي هاجرت من بوادي "نجد" بـ"الحجاز"، إلى أراضي بلاد المغرب العربي الكبير، بعد أن مرت هجرتها بـ"مصر" ومكثت هناك لفترة من الزمن. ورحلة قبائل

[1] عزي بوخالفة: تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية –مخطوط دكتوراه دولة–، جامعة الجزائر 2003/2002، ص:55

[2] العربي بن عاشور: قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري –مخطوط دكتوراه–، جامعة الجزائر 2012/2011، ص:48

"بني هلال"، رحلة جماعية كانت نتيجة عوامل وأسباب مختلفة؛ منها العامل الاقتصادي، ومنها العامل السياسي. تواصلت هجرة قبائل بني هلال على دفعات متلاحقة طيلة القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين. كانت بداية الرحلة من بوادي "نجد" إلى "العراق" ثم "الشام"، ثم استقر المهاجرون غرب وادي "النيل" ما بين الصعيد المصري، سفوح جبال "الأطلس التلي" في بلاد "المغرب العربي"، على امتداد أقطار عربية مشرقية ومغاربية هي: "مصر"، "ليبيا"، "تونس"، "الجزائر".

وتعتبر هجرة قبائل "بني هلال"، من أهم وأكبر الهجرات البشرية العالمية، التي تمكنت من إحداث تغيير جذري في التركيبة البشرية للمناطق، التي هاجروا إليها. حيث استطاعت هجرة قبائل "بني هلال"، إعطاء تركيبا سكانيا جديدا، وامتزاجا في الأعراق، ونسقا ثقافيا وحضاريا جديدا، مغايرا تماما للنسق الثقافي والحضاري الذي كان سائدا من قبل الهجرة. فقد حملت قبائل "بني هلال" تراثا ثقافيا ورؤية للكون، ونظاما معيشيا في حياتها اليومية. وهي السمات المعروفة لطبيعة نظام الحياة البدوية، الذي يعتمد أساسا على الرعي والحرب معا. وهو النظام الحياتي ذاته الذي عرفه "شبه الجزيرة العربية"، خلال العصر الجاهلي، وظل قائما بعد ذلك إلى فترة تاريخية، تاخمت مرحلة العصر الحديث[1].

روى "بنو هلال" حكايات وقصص هجرتهم وحياتهم إلى المواطن الجديدة، إلى بلاد المغرب العربي، من خلال قصص ملحمية بطولية تناقلها الرواة المحترفون بلغة يومية عادية وبسيطة. وتم تسجيل هذه القصص الملحمة والبطولية في مدونات شعبية تراثية، خلال فترات تاريخية معينة. من هذه المدونات ما هو مطبوع، ومنا ما بقي مخطوطا. إلا أن الرواية الشفوية ظلت لقرون قائمة، ومثلت جزءا كبيرا من الممارسات الثقافية في العالم العربي ككل. حيث اتخذت شكل ممارسات طقوسية، يحظى راويها بالاحترام والتقدير، والتبجيل والوجاهة الاجتماعية أحيانا.

5-الخصائص الفنية للسيرة الشعبية: كأي فن أدبي، للسيرة الشعبية ميزات وخصائص فنية أهمها:

-الطول والضخامة والتسلسل.

1 للاستزادة أكثر يمكن مراجعة كتاب الدكتور عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والنفسي لفن القص في الثقافة الجزائرية، دار فيسيرا للنشر –الجزائر، الطبعة الأولى 2009، ص:107/106.

-احترافية الرواية، حيث أن « للحكاية الشعبية الطويلة ذات الحلقات المعروفة، بالسيرة الشعبية، متخصصون متفرغون يحترفون حفظها، وتقديمها لجماهير المستمعين، في الأعياد والمواسم والأسواق»[1].

-تروى السيرة الشعبية ليلا في الأغلب الأعم.

-يتلقى السيرة الشعبية صنف الرجال عادة.

-ترتبط السيرة الشعبية بالتاريخ ، وشخصياتها شخصيات حقيقية، لها وجود في الزمان والمكان.

6-الخصائص الفنية لتغريبة "بني هلال": لـ"تغريبة بني هلال"، كمدونة سردية جملة خصائص فنية أهمها:

-أول ما يلفت الانتباه هو اسم "التغريبة"؛ فهي "تغريبة بني هلال"، حيث أنها لم تنسب لفرد معين أو شخص ما أو بطل ما، إنما نسبت لجماعة إنسانية لها تاريخها الخاص بها، عرفت بتواجدها العريق في "شبه الجزيرة العربية"، وبلاد "المغرب العربي الكبير". وهذا عكس السير الشعبية الأخرى، التي نسبت لأبطالها وشخصياتها. كما أن اسمها يحمل، اسم الموطن الذي هاجرت إليه قبائل "بني هلال"، وهو بلاد "المغرب العربي الكبير".

-رصد التاريخ الرسمي حركة "الهلاليين"، التي مثلت موضوع "التغريبة"؛ إذ انطلقت من "المشرق العربي"، وبالتحديد من بوادي "نجد" بـ"الحجاز"، واستقرب ببلاد "المغرب العربي" بشكل نهائي.

-رصدت "تغريبة بني هلال" تنوعا هاما، للشعوب والديانات.

-تميز الصراع في "التغريبة" بين جماعتين بشريتين، من انتماء حضاري واحد، وهو الانتماء العربي الإسلامي، من أجل مصادر الرزق والعيش.

-سجل الهلاليون وقائع هجرتهم، في مدونة شعبية شهيرة هي "التغريبة"، خارج أراضيهم الأصلية (بوادي "نجد")[2].

---

[1] عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص:57

2 للاستزادة أكثر، يمكن مراجعة أطروحة الدكتور عزي بوخالفة: تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية –مخطوط دكتوراه دولة–، جامعة الجزائر 2003/2002،ص:55.

المحاضرة التاسعة

الأمثال الشعبية المغاربية

1-مفهوم المثل:

-لغة: "المثل" مأخوذ من الجذر اللغوي الثلاثي م-ث-ل، وعرفه "ابن منظور" بقوله: «..هذه مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه.. وهي الأمثال والمثل بمعنى العبرة.. والمثال المقدار وهو من الشبه. وقال أيضا: والمثل: الشئ الذي يضرب لشئ مثلا فيجعل له مثله. وفي الصحاح ما يضرب من الأمثال. قال الجوهري: ومثل الشئ أيضا صفته، قال ابن سيدة: وقوله عز من قائل:﴿ مثل الجنة التي وعد بها المتقون﴾؛ قال الليث: مثلها هو الخبر عنها، وقال أبو إسحاق: معناه صفة الجنة»[1]. من هنا يمكن الاستنتاج، أن المثل في اللغة يراد به الشبه كما يراد به النظير، أو الأنموذج الذي يحتذى به.

-المفهوم الاصطلاحي: اهتم أهل البلاغة من العرب القدامى، بالمفهوم الاصطلاحي "للمثل"، وفي هذا الصدد يقول "ابن عبد ربه":« الأمثال هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء كسيرها ولا عم عمومها حتى قالوا: (أسير من مثل)»[2]. فالأمثال من منظور "ابن عبد ربه" تجمع بين جمال اللفظ وبلاغة الكلمة، كما أنها سائرة وشائعة بين عموم الناس، فهي بذلك أكثر بلاغة وتعبيرا، من أجناس أدبية أخرى كالشعر والخطابة، وأبقى منها أيضا، فصارت بذلك كلاما مأثورا متداولا. فـ"ابن عبد ربه" يؤكد بذلك « على ظاهرة سعة تداول المثل وتميزه على باقي، الأشكال الأدبية المعروفة في عصره»[3].

ويتميز "المثل" بخصائص جمالية تميزه عن باقي الكلام وهي: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، جودة الكناية. مما يمثل قمة البلاغة ومنتهاها. يقول "النيسابوري":« يجتمع في المثل أربعة لا

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، الجزء السادس، مادة "مثل"، باب "الميم"، ص:4133/4132

[2] أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1982، الجزء الثالث، ص:63

[3] عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، -الجزائر 2007، ص:58

تجتمع في غيره من الكلام هي: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة»[1]. هذه الخصائص ،تجعل من المثل سبكا من حيث البلاغة، ودائم الاستمرارية والانتشار.

وفي تعريف المثل أيضا، يقول "التلي بن الشيخ":« المثل جملة أو جملتين تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة. إن المثل الشعبي تقطير أو تلخيص لقصة أو حكاية ولا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية، التي يعبر المثل عن مضمونها»[2].

يمثل المثل الشعبي المغاربي، الحصيلة الشفوية لخبرة شعوب المغرب العربي اليومية. كما يمثل التجربة السلوكية لحياة الشعوب المغاربية. والتعريفات السابقة مهما كانت طبيعة اختلافها، من حيث النمط الفكري والمعرفي، أو الزمان والمكان، فإنها تتفق في بعض جزئياتها، سواء تعلق الأمر بالمثل الشعبي العام، أم المثل الشعبي المغاربي؛ لأن أصول النشأة تبقى واحدة، والمصدر واحد هو الشعب المغاربي.

والحقيقة الواضحة هي أن الأمثال الشعبية المغاربية العامية، تختلف مع الأمثال الشعبية المغاربية الفصيحة من الناحية الشكلية، و هذا يعود إلى طبيعة اللهجة أو اللغة التي صيغت بها الأمثال. وتبقى السمات الأخرى لا تمثل اختلافا كبيرا، من حيث طبيعة المثل الشعبي.

وتجمع التعريفات السابقة، على الطبيعة الشعبية للمثل بصفة عامة، من حيث دلالات المثل الشعبي المعنوية، وطبيعة صياغته العفوية البعيدة عن التعقيد، والتي تجعل من المثل الشعبي في منطقة المغرب العربي، مستساغا من حيث الفهم والرواية المتداولة على الألسنة.

2-نشأة المثل الشعبي المغاربي:

لابد من التأكيد بداية على أن المثل الشعبي بصفة عامة، تولد في سياق كلام، وضمن لحظة زمنية مميزة، ليكون جملة تتسلل من ركام الكلام، تطفو على السطح باعتبار المثل علامة قولية مميزة[3].

لا يكون المثل بدءا إلا من قبيل الإبداع الفردي، والدليل على ذلك هو أن الفرد في بعض الحالات، «قد يصدر عنه قول يصير بعد ذلك مثلا، ثم يختفي اسمه أو يطمس أو يشطب حقه في الاختراع

[1] أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، المجلد الأول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت –لبنان، الطبعة الثانية، د/ت، ص:14

[2] التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر، الطبعة الأولى، 1990، ص:19

[3] ينظر في ذلك ناجي التباب: المثل الشعبي –عراقة الحديث وحداثة العريق-، مطبعة التسفير الفني، صفاقس –تونس، الطبعة الأولى 2008، ص:30/29.

لسبب من الأسباب، فيعزى قول ذلك إلى الجماعة التي كان ينتمي إليها»[1]. يزداد انتشار المثل الشعبي، ما دامت هناك حاجة لاستخدامه. وطبيعي جدا أن المثل الشعبي المغاربي، كان من إبداع فرد أو أفراد معينين ، ثم نسب بعد ذلك للمجتمع الذي نشأ فيه، نتيجة اندثار اسم الشخص الذي أبدعه، لسبب من الأسباب. وهو يعرف انتشارا متزايدا في الحياة اليومية للناس، بحسب حاجة المجتمعات المغاربية، لاستخدام ذلك المثل، في مواطن معينة. وبذلك يكتب للمثل الشعبي المغاربي، العيش والتعايش مع الأجيال المتلاحقة، والتي عادة ما تكون بحاجة، للاستشهاد به واستخدامه، بحسب ملائمة طبيعة مغزاه للفترة الزمنية، والظروف الجغرافية المشابهة لطبيعة الحال، التي قيل فيها ذلك القول الذي صار مثلا فيما بعد.« فالأمثال هي نتيجة معاناة الإنسان مع بيئته، وتمرس أقوام بحياة أذاقتهم حلوها ومرها، وضاقوا بضروب أفانينها ذرعا، فأطلقوها أقوالا مجلجلة تعبر عن مكنونات الصدور، مما فيها من أحاسيس سرعان ما تناقلتها الألسن، وترددها الشفاه في كل مناسبة شبيهة بالتي قيلت فيها»[2]. من هنا يكون المثل، هو نتاج التجربة الإنسانية وفق طبيعة الاحتكاك، بالبيئة والمحيط الاجتماعي والجغرافي. ونتيجة لهذه التجارب، كانت الأمثال الشعبية في منطقة المغرب العربي، تعبر عن التجارب الخصوصية، لسكان المنطقة وفق طبيعة تعاطيهم مع محيطهم الجغرافي، ووفق أنماط معيشتهم اليومية. لذلك لا يستدعي المثل « إحاطة بالعالم وشؤونه، ولا يتطلب خيالا واسعا عميقا، وإنما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة»[3]. فتبدو بذلك الأمثال الشعبية المغاربية، في حال حصرها ضمن بيئة المغرب العربي الاجتماعية، وضمن فترة تاريخية معينة، سلسلة من الأقوال اللغوية الدالة، التي تنتمي وتعبر عن نسق حضاري يختص ببيئة المغرب العربي الكبير.

وعادة ما يتميز هذا النسق الحضاري، بنوع من الانغلاق النسبي، بغرض المحافظة على حدوده الشكلية، كاشفا بذلك « عن الأوضاع الحضارية والقيود الاجتماعية، والقيم التي يؤمن بها الأفراد المستعملون للأمثال ومستهلكوها»[4].

---

[1] المرجع السابق، ص:35

[2] مراد جولي: الأمثال المقارنة، منشورات دار المراد، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1998، ص:08

[3] أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1979، ص:64

[4] عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، ص:62

من هنا يتضح أن استمرارية الأمثال الشعبية المغاربية، عبر العصور يعود الفضل فيها، إلى شعوب منطقة المغرب العربي، التي وضعت أمثالها لحكم ما، ولأسباب موضوعية اقتضت وضعها، ولأحداث أفرزت وجود تلك الأمثال. وكانت دائرة الأمثال الشعبية المغاربية، تتسع أحيانا وتضيق أخرى، بحسب ما تهدف إليه من تصويب للأوضاع الاجتماعية في المغرب العربي،« ومن توجيه للناس إما للحفاظ على تلك الأوضاع، أو معالجة المشاكل التي تعترضها»[1].

3-المثل الشعبي العربي:

بدراسة الأمثال الشعبية العربية منذ العصر الجاهلي، يلاحظ بأنها أمثال مستقاة من الحياة البدوية المادية والمعنوية للإنسان العربي. لذلك فهي أمثال من نتاج البيئة العربية الصحراوية وما تمثله من جفاف أرضها، ونصاعة سمائها، وما حملته من حيوانات أليفة ومفترسة، ونباتات، وعادات وتقاليد العرب وقتها. وما كانوا يقدمون عليه، من حروب وغزوات. وما اتصفوا به من جود وكرم وشجاعة وإقدام ساعة الخطر، إلى جانب العزة وإغاثة الملهوف، والعصبية القبلية،... وغيرها من سائر الخصال التي عرف بها الإنسان العربي وقت الجاهلية.

لذلك كانت للعصر الجاهلي رؤيته وفلسفته الخاصة، لأنها مرتبطة بالممارسات الأخلاقية الواقعية، البعيدة عن الأبعاد الماورائية؛ ومن هنا يكون المثل الشعبي العربي، خلاصة تجارب الحياة العربية القديمة، وتسجيل لحياة الإنسان العربي الثقافية والفكرية، وما تعلق بها من عناصر مادية.

وأغلب الأمثال العربية المسجلة، في كتب الأمثال القديمة والمصنفات المعروفة، مأثورة عن العصر الجاهلي العربي. ولا ينفي هذا وجود أمثال عربية أخرى تأثرت بـ"الإسلام" بعد مجيئه، متخذة من "القرآن الكريم" و"السنة النبوية الشريفة" مرجعا عقيديا وأخلاقيا لها. وعندما ظهرت الفتوحات الإسلامية، في عهد الخلفاء الراشدين، والعصر الأموي والعباسي، اختلط العرب بغيرهم من هذه الأمم الأجنبية، فظهرت أمثال عربية "مولدة"، هي نتاج البيئات الجديدة التي فتحها العرب، وصارت ضمن ملكهم وخلافتهم. فالأمثال العربية الفصيحة والقديمة، التي وصلت العصر الحديث، هي أمثال

[1] سميح عاطف الزين: الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية 2000، ص:12

بلغة "قريش"، بينما الأمثال الشعبية الأخرى، التي جاءت باللهجات العامية، ارتبطت بتاريخ نشأة وتطور اللهجات العامية، في مختلف الأقطار العربية مشرقية ومغربية.« فالبعض يرى أن اللغة التي وصلتنا عن الجاهلية وصدر الإسلام، وعصر الدولة الأموية والعباسية، ليست لغة العامة، وإنما لغة الشعراء والكتاب. أما العامة فكانوا يتحدثون لغة أو لهجة عامية، نشأت من تزاوج العربية الفصحى ، ببعض اللهجات الدخيلة عليها. وأن الكتاب كانوا يفصحون ما يروى على ألسنة العامة في كتبهم»[1].

لا يؤكد هذا الرأي غير اختلاف لغة البادية العربية، عن لغة الحضر. كما يؤكد اختلاف استخدامات اللغة من بلد إلى بلد آخر، غير أن هذه الاستخدامات بقيت جميعها متضمنة في إطار اللغة العربية، وليست مجرد لهجات مستقلة بمفرداتها وألفاظها عن اللغة العربية الفصحى، التي كتب بها الشعراء والكتاب أعمالهم الأدبية.

والملاحظ من الرأي دائما، أن اللهجة العامية ازدهرت وتطورت، خلال فترات ضعف الخلافة الإسلامية، عندما بدأت اللغة العربية الأصيلة، تواجه لغات أخرى أجنبية، كاللغة التركية التي صارت فيما بعد، لغة رسمية بالنسبة للحكام والأمراء ومن والاهم. وبدأت اللهجات العامية تتشكل لعدة أسباب ونتيجة تأثيرات عديدة، كتأثر اللغة العربية الأصيلة بلغات البلدان المفتوحة، ثم تأثرها بلغة الشعوب المستعمرة ، التي غزت البلاد العربية في عصور ضعفها، وهو ما حدث فعلا، في بلاد المغرب العربي، التي تأثر سكانها كثيرا باللغات المحلية كـ"اللغة الأمازيغية" بداية، ثم باللغات الأوروبية الأخرى، للدول المستعمرة، التي غزت بلاد المغرب العربي، كاللغة الفرنسية، واللغة الإيطالية، واللغة الإسبانية. ربما لهذه الأسباب جاءت اللهجات العامية للدول العربية، مختلفة عن بعضها البعض، مما أنتج ظاهرة اللهجات العربية المحلية.

ولا يشمل هذا الخلاف سائر الظواهر اللغوية، غير أن أكثريته تمثل في معاني بعض المفردات العامية، ومخارج أصوات الحروف، وطبيعة لكنة المتحدث بتلك اللهجة.« وقد استتبع ذلك خلاف جوهري في

[1] حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة –مصر 1997، ص:33

لغة الأدب الشعبي، ومن ثم في الأمثال الشعبية، التي عرفت تطورا حسب اللهجة العامية، في كل إقليم من الأقاليم العربية»[1]. لذلك فالأمثال الشعبية العربية، قيلت باللغة العربية الفصحى حين سادت اللغة العربية الفصحى. ثم قيلت باللهجات العامية العربية، في فترات زمنية متأخرة، وهي جميعها « ناتجة عن تجارب إنسانية، فردية أو جماعية، عميقة الجذور في شعب معين»[2].

وإذا كان من الصعوبة البحث، في الأصول الأولى للأمثال الشعبية، لاسيما من حيث النشأة، لأن المثل لا يمكن له أن يكون مثلا، إلا إذا سار وشاع بين أفراد المجتمع. وهذا لا يمكن له أن يكون إلا بعد فترة زمنية، قد تطول وقد تقصر؛ إلا أنه يمكن البحث في الأمثال الشعبية، « بداية من فترة تدوينها، حوالي منتصف القرن الأول الهجري، عندما نشطت حركة التدوين لدى العرب»[3]. وحظيت وقتها الأمثال الشعبية العربية، باهتمام « ثلاثة من علماء الأخبار والأنساب والتاريخ، هم: صحار بن عياش العبدي، وعبيد بن شرية الجرهمي، وعلاقة بن كرشم الكلابي»[4]، إلا أن مؤلفات هؤلاء العلماء، فقدت منذ زمن بعيد.

استمرت حركة التأليف في "العراق"، وانتشرت بشكل كبير، إلى جانب حركة الترجمة، عندما آلت الخلافة لـ"بني العباس" وقيام الدولة العباسية بعد سقوط الخلافة الأموية، واستقرارها وتوقف الفتوحات الإسلامية. ومن أبرز المصنفات التي وصلت من منجزات مدرسة "الكوفة" بـ"العراق" في مجال الأمثال الشعبية، مصنف "المفضل الضبي" "أمثال العرب"[5]. هذا المصنف الهام الذي عد صورة دقيقة، لمعرفة أيام العرب، وأساطيرهم الجاهلية، والحكايات التي وضعوها وانتقلت مشافهة، حيث خصص جزء كبير من المصنف، للأمثال العربية الجاهلية.

تأثرت الأمثال الشعبية العربية، بالقيم الدينية "للإسلام"، من حيث الجوانب المضمونية والأخلاقية، إلا أن هذا لم ينفي ما كان سائدا من قبل من الأمثال، لأن المضمون لا يتغير بسرعة، لأنه يشمل

---

[1] المرجع السابق، ص:35

[2] المرجع نفسه، ص:35

[3] حسين عبد الحميد رشوان: الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة –مصر، الطبعة الأولى،1993، ص:43

[4] عبد المجيد قطامش: الأمثال الشعبية –دراسة تاريخية وتحليلية–، دار الفكر، دمشق –سوريا، الطبعة الأولى 1988، ص:43

[5] تحقيق الدكتور إحسان عباس.

المضمون الإنساني العام، وقيما إنسانية ثابتة كالخير والشر، السعادة والشقاء، الفضيلة والرذيلة، الفرح والسرور، العدل والظلم، المساواة والجور، الحرية والاستعباد،... هذه القيم الإنسانية وغيرها من القيم الإنسانية الأخرى، متعارف عليها منذ الأزل، وبقيت قائمة على مر الأزمان والحقب التاريخية.

ولأن "الإسلام" دين الفطرة البشرية لم ينفي مكارم الأخلاق، والقيم الإنسانية النبيلة، التي سبق للإنسان العربي التحلي بها من قبل.

وساعد الإسلام على إضافة أنواع أخرى، من الأمثال الشعبية العربية، لم تكن معروفة من قبل، وأثرى نماذج سابقة، وافقت التغيرات الجديدة التي حملها.

برز خلال هذه الفترة للوجود مصنف "الأمثال"[1] لـ"أبي فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي البصري"، المتوفى عام 195 هجري. وهو المصنف الذي عد خطوة هامة جدا في التأريخ وجمع الأمثال الشعبية العربية، « حيث يختلف عن المفضل في دقته في ذكر مصادره، وفي إكثاره من الأشعار التي يفسرها متوسلا الأمثال حجة لها. ويبدو أبو فيد من خلال الكتاب لغويا، أكثر منه أدبيا»[2]. حيث يلاحظ من خلال ما سبق، ولوع العرب المسلمين الأوائل بجمع ودراسة الأمثال الشعبية العربية، لما تحظى به، من أهمية اجتماعية ولغوية وأدبية. فوضعت بذلك مصنفات كثيرة، منها ما وصل إلينا، وهو موجود إما في شكل مخطوط، أو كتاب منشور، ومنها ما لم يصل إلينا مطلقا.

وقد تأثر العديد من الباحثين العرب المحدثين، والمهتمين بالتراث والآداب الشعبية، باللغويين العرب القدامى، في مناهج جمعهم للأمثال الشعبية، وتبويبها وفهرستها، ثم ترتيبها ألفبائيا أو موضوعاتيا. وهذه المناهج العلمية كثيرة، وتختلف بحسب التوجهات العلمية للباحث، أو البلد الذي ينتمي إليه.

4-أنواع الأمثال الشعبية المغاربية:

قسم المثل الشعبي المغاربي إلى أنواع، بحسب رأي عديد الباحثين، سواء من حيث الموضوع أو الحجم أو طريقة بناء المثل، أو زمن نشوئه. وكانت التقسيمات على النحو الآتي:

1-بحسب الحجم: الأمثال الشعبية المغاربية بحسب حجمها نوعان، قصيرة وطويلة:

---

[1] تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب.

[2] عبد المجيد قطامش: الأمثال الشعبية –دراسة تاريخية وتحليلية–، ص:43

–القصيرة: غالبا ما تتكون الأمثال الشعبية المغاربية القصيرة، من جملة أقوال موجزة، وتتسم بالقبول وتعرف بالتداول ليسهل انتشارها وحفظها، دون تغيير يلحق في ألفاظها؛ فتنتقل عما وردت فيه من الناحية الأصلية، إلى كل ما ينبغي قصده بها. لذلك تضرب الأمثال الشعبية المغاربية، كغيرها من الأمثال الشعبية العربية والعالمية، بغض النظر عن الجهل بطبيعة أسبابها، التي كانت أو ضربت من أجلها. ويتفاوت فيها نظام الجملة، بين القصر والطول، والبساطة والتركيب والضيق والاتساع. غير أن جملة المثل الشعبي المغاربي، تتميز غالبا بكثافة المعنى، الذي تحمله كل مفردة في المثل.« وهي كثافة تجعل المفردة المستخدمة في المثل، تختلف في معناها عن نفس المفردة المستخدمة في اللغة العادية؛ أي أنها تتجاوزها وتفوقها من حيث الدلالة والمعاني»[1]. فالمثل الشعبي المغاربي، يعرض لمواقف متنوعة من خبرات إنسانية، ولا يمكن أن يصور هذه المواقف من خلال تراكيب لغوية، تحتوي على عدد من الثغرات، التي يقوم متلقي المثل فيما بعد بملئها.

–الطويلة: غالبا ما يكون هذا النوع من الأمثال في شكل حكاية. وينتشر كثيرا هذا النوع في بلاد المغرب العربي، ويقال بعد نهاية حادث ما. كقولهم مثلا: (وافق شن طبقة). هذا مثل عربي موجز معروف في العالم العربي ككل، يتضمن قصة معروفة، وهي قصة رجل اسمه "شن" وجد ضالته في امرأة اسمها "طبقة"، فتزوجها وعاشا حياتهما معا. وقد تكون الأمثال الشعبية الطويلة الحجم، صادرة « من قصة متخيلة متداولة على ألسنة الناس»[2]. وتصاغ أيضا في شكل قصص، للمتعة والترفيه والتسلية، ولا تمثل حقيقة واقعية.

2–بحسب الشكل الأدبي:

–السردية: المثل السردي هو نقيض المثل الشعري، ويقال له المثل "النثري" أيضا. مثل هذه النوع معروف ومنتشر في بلاد المغرب العربي، وعرف به الأدب الشعبي المغاربي. والمثل السردي هو « جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من

[1] عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، ص:65

[2] محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1988، ص:44

المعاني. فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت من أجلها»[1]. هذه جملة خصائص المثل السردي، في الثقافة الشعبية. وعادة ما وجدت الأمثال السردية في الأدب الشعبي المغاربي، وفق مقتضيات حاجة المجتمعات المغاربية إليها، وتبعا لطبيعة ظروف معيشة الفرد المغاربي.

–الشعرية: يكون المثل الشعبي الشعري، عبارة عن بيت من الشعر، أو شطر منه، أو جزء من الشطر أحيانا.« وينبغي في المثل الشعري تحليه بثلاث خلال: أن يكون متزنا قائما بنفسه غير محتاج إلى غيره، وأن يكون سالما من التكلف سلسا تستلذه الأسماع، وأن يكون متحرى فيه الصدق وحسن الإصابة»[2]. يضاف إلى ذلك مجهولية مؤلفه، حتى لا يندرج ضمن أبيات الحكمة الشعرية.

أكثر هذه الأمثال انتشارا في بلاد المغرب العربي، هي الأمثال الشعرية القصيرة. وترتبط بحادثة أو قصة، وعادة لا تذكر القصة، وإنما يذكر ما نتج عن أحداثها من مثل موجز يدل عليها. غير أن الأمثال السردية في المجتمعات المغاربية، أكثر حضورا و أوسع انتشارا، لأن الأمثال الشعرية في الأدب الشعبي المغاربي، ترتبط عادة بالحكمة.

5–طقوس أداء المثل الشعبي المغاربي:

ارتبط المثل الشعبي المغاربي منذ نشأته، برواية قصة معينة؛ فكأن المجتمعات المغاربية كانت لا تقول أمثالا إلا وارتبطت بها قصص متعلقة بها.« ويكثر في قصص هذه الأمثال، أن تذكر فيها شخصيات تاريخية أو خرافية، أو حيوانات مشهورة، أو أماكن أو أسماء أجناس من الحيوانات والنباتات»[3].ويبقى المثل الشعبي المغاربي، أنموذجا حيا للتعبير عن خصوصية الذات الشعبية المغاربية، وفق مقتضيات التجارب الحياتية ، التي عاشها الإنسان المغاربي ودرج عليها.

وضمن طقوس أداء المثل الشعبي المغاربي، فلهذا المثل مورد ومضرب، كباقي الأمثال الشعبية العربية.

–مورد المثل: يقصد بمورد المثل، الحالة أو المناسبة التي قيل فيها بداية. يرى بعض الباحثين أنه ليس من الضرورة، أن يرتبط المثل الشعبي بمورد ما، يورد فيه ليكون مناسبة يضرب فيها. حيث أن هناك

[1] الحسن اليوسي: زهرة الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة –الجزائر 1981، الطبعة الأولى، ص:08

[2] محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص:45

[3] رودلف زلهايم: الأمثال العربية القديمة، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار الأمانة، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1971، ص:55

أمثال شعبية قيلت، دون مورد أو مناسبة، ودون أن ترتبط بأية حادثة، كأحاديث "الرسول" "ص"، والأشعار الحكمية، والأمثال التي أصلها حكم، ثم سارت وشاعت هذه الأمثال بعد ذلك. وما يعتقده هؤلاء الباحثون، أن المورد يطلق على أول استعمال للمثل، سواء أكان هذا المورد حادثة أم لم تكن[1].

–مضرب المثل: المراد بمضرب المثل، هو إطلاق المثل واستعماله في حالات متجددة، تشابه الحالة الأولى التي ضرب فيها، وهذا بحسب طبيعة الموقف الذي يضرب فيه مجددا.

وعن التقاطعات القائمة بين المثل الشعبي الفصيح، والمثل الشعبي العامي، هي أن المثل المتوسل باللغة العربية الفصحى، يأخذ الصبغة الإقليمية التي نشأ في إطارها . لأنه يولد من أعماق المجتمع ومعاناة أبنائه، فيتطور بحسب تطور اللغة اليومية والتواصلية لأبناء المجتمع.

كما أن المثل الشعبي الفصيح، يتميز بثبات نصه دون تحويل أو تغيير، لأنه صار مثلا مكتوبا مدونا، ومن اختصاص المنظومة المعرفية للنخبة الثقافية والمتعلمة في المجتمع. أما المثل الشعبي العامي، فيتميز بنوع من الثبات، غير أنه قابل لليونة والتغيير، في بنيته التركيبية، سواء من حيث الألفاظ أو العبارة، بفعل التداول الشفوي. وهذا التغيير يكون وفق ما يتناسب مع طبيعة المجتمع والتجارب الإنسانية، وأن تكون المفردات المتعلقة بالمثل ضمن الحقل الدلالي نفسه لأبناء المجتمع.

[1] ينظر في ذلك عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية –دراسة تاريخية تحليلية–، ص:15.